من كنوز التراث الصوفي

ابو سهل
نجاح عوض صيام
عفا الله عنه

ترتيبُ السّلوك في طريق الله تعالى

للإمام زين الإسلام عبد الكريم القشيري

قدم له وحققه وشرحه
الدكتور إبراهيم بسيوني

وعاونه
محمد أحمد غانم

http://esamanas8.blogspot.com/

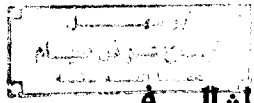

من كنوز التراث الصوفي

ترتيب السلوك في طريق الله تعالى

للإمام زين الإسلام عبد الكريم القشيري

وهو سجل رائع لتجربته الشخصية في كيفية وصول الذاكرين إلى الحقيقة

قدم له وحققه وشرحه

الدكتور إبراهيم بسيوني

وعاونه

محمد أحمد غانم

http://esamanas8.blogspot.com/

بسم الله الرحمن الرحيم

« الذين يذكرون الله قيـاما وقعـودا ، وعلى جنـوبهم ، ويتفكـرون فى خلـق السـموات والأرض ، ربنـا مـا خلقت هـذا باطـلا ، سبحـانك فقنـا عـذاب النـار »

« آل عمران »

« واذكـر ربـك فى نفسـك تضرعا وخيفـة ودون الجهـر من القـول بالغـدو والآصـال ولا تكن من الغـافلين »

« الأعـراف »

« الا بذكر الله تطمئن القلوب »

« الرعـد »

http://esamanas8.blogspot.com/

الباب الأول

تعريف بالكتاب وصاحبه

http://es[...]manas8.blogspot.com/

(١) القيمة العلميّة للكتاب

هذا كتاب قليل الصفحات ولكنه على جانب كبير من الأهمية هو قليل الصفحات لأنه آت من منطقة — فى رحلة الانسان الى ربه — يكون فيها النطق قليلا والعمل كثيرا ، بل تكون قدرة اللسان على التعبير قريبة من العجز ، وتكون قدرة القلب على التعبير فى أعلى صورة لها حتى يصبح مقتضى الحال وقفا على البصيرة الكاشفة .. دون حاجة الى كلام أو نطق .

والكتاب على جانب كبير من الأهمية لأنه رسالة مكتوبه تسجل تجربة ذاتية عاناها هذا الامام الجليل رضوان الله عليه — الذى قلما تحدث عن نفسه أو كتب عنها .

فطوال اقترابى منه لعشرين عاما خلال مصنفاته العظيمه وأنا أقرأ له متكلما وفقيها ومفسرا وصوفيا وأديبا .. وحينما حاولت منذ عهد مبكر أن أكتب عن تجربته الشخصية فى علم القلوب لم أجد له وثيقة متكاملة فى صعيد واحد ، فأخذت ألتمس ذلك من خلال كتبه ، فقرة من هنا وفقرة من هناك ، وكنت فى أعماقى على غير اقتناع كامل بما أصنع ، لأنى كنت أعزوه فى نهاية الأمر الى القشيرى الباحث فى التصوف ، وليس للقشيرى الذى يعانى تجربة التصوف ويتذوقها .

ها نحن هنا نلتقى فى هذا الكتاب بما كنا نفتقده ، ولسوف نجد المصطلح الصوفى فى مكانه الصحيح من التجربه ، واسوف نشعر

http://esamanas8.blogspot.com/

بحيوية المصطلح وهو فى هذا الموقع ، على خلاف ما نجده منتزعا فى الباب أو الأبواب المخصصة له فى اطار المعالجة النظرية والبحث المجرد •

***

والشيخ هنا يأخذ بأيدينا الى منطقة ذكر الله سبحانه باللسان ثم بالقلب ثم بالجوارح ، ثم كيف يشترك الكون كله مع العبد فى ذكر الله سبحانه بحيث ينغمران معا فى شمولية الذكر ، وتتجلى الهيبة فيكون السكون ، وتحتد البصيرة فيكون الكشف ، ويصبح العبد فى نهاية الأمر — وقد سقطت عنه كل ارادة فى نفسه لنفسه — مشمولا بتصريف الله تعالى •

وهو فى كل هذه المراحل ماخوذ عنه بقوة عليا ، تبسط له بين الحين والحين أنوارا تجلو مرآة نفسه ، وهكذا يعود الى جوهره بقلب منيب خاشع خاضع متذلل •• فكان الرحلة فى صميمها سلوكية بالدرجة الأولى ، وتنقية وتطية فى نهاية الأمر •

***

والكتاب بهذه الصورة يقدم نفسه كافضل رد على كل من أعداء التصوف وأدعياء التصوف فى آن واحد ، وهؤلاء وأولئك يجمعهما

شىء واحد هو محاولة اهانة التصوف •• أولئك بدعاواهم الباطلة وهؤلاء بمروقهم المشين ••

● نعم •• فهذه هى تجربة التصوف العملى كما عاناها شيخ جليل من شيوخ أهل السنة والأشاعرة ، تبدأ وتنتهى فى أدق مراحل التجربة وأشدها حساسية • ونشهد أننا ابتداء من سطور الكتاب الأولى الى نهايته لم نقف على مأخذ واحد يتعارض مع الدين الحنيف ، مع أن الأصل فى الموضوع أن التصوف تجربة متعبد ممتاز قد تنكشف له خلال تعبده أشياء لا تبدو للمتعبد العادى •• وليس فى هذا (أرستقراطية) فكرية كما قد يظن ، بل ان الأمر فى غاية البساطة ، أننا ننظر الى التدين على أنه نشاط انسانى مكرس لعبادة الله سبحانه ، وكما نتوقع فى كل بيئة ذات نشاط انسانى أن يكون فيها الكامل والعادى والمتوسط والممتاز ، فاننا نتوقع أن نجد الذاكرين المحبين الزاهدين الذين لا شغل لهم بمتاع الدنيا الزائل ، والذين يحافظون على كرامتهم ، والذين لا يمرغون أنفسهم فى التزلف والرياء والنفاق والانتهاز •• لا يعنيهم الجاه والمنصب والمال •• أقول نتوقع بل نسلم لهم بالامتياز والتفوق ••• وبالتالى فعلينا أن نتوقع منهم لغة مختلفة توضح ثباتا على القيم حيث تخور عزائم الصغار ، وحبا لله يغمرهم ويأخذهم عن عالمنا الى عوالم بعيدة والى قمم عليا والى شموس طالعة أبدا •

ونستطيع أن نتصور طبيعة مثل هذه اللغة وهى تستلهم من الكشوف والأنوار •

http://esamanas8.blogspot.com/

● ومن السطور الأولى سيقرأ أعداء التصوف وأدعياؤه أن الحرص على العلم والتعلم هو البداية فى الطريق ، فلابد كما يقول الشيخ أن يتأدب المريد على شيخ يوثق فى علمه .

ومن السطور الأولى سيقرأ أعداء التصوف وأدعياؤه أن الحرص على الشريعة والفرائض والسنن وصلاة الضحى وطهارة النفس والبدن والثوب ، ونحو ذلك شرط أساس .

وفى نهاية الكتاب .. وحينما كان الشيخ فى حال الجمع أعيد الى حال الفرق الثانى ليؤدى الصلاة فى موعدها .

وفيما بين المقدمة والخاتمة لا تجد حلولا أو اتحادا أو تناسخا فالعبد عبد والرب رب ، وبمقدار ما يتناهى العبد فى عبوديته يتعالى الرب فى ربوبيته ، والفناء والبقاء هنا من قبيل التعبير عن حالة الشعور ، وغيبة الذاكر فى تأملاته وذكره .

والشرب هنا استحلاء وتلذذ بذكر الله يبدأ بالفم فى أصول الأسنان ثم ينتشر فى كل حنايا البدن .

والدعوة الى الفقر والذل ينبغى ألا تؤخذ فى تصيد ماكر يقلب الحقائق والموازين ، لأن الفقر فى جنب الله أغلى من كنوز الأرض والذل فى كنف الله عز عبر عنه ابراهيم بن أدهم أحد كبار الشيوخ بقوله : لو علم أبناء الملوك ما نحن فيه من عز لجالدونا عليه .

وربما تجد خاتمة الكتاب غمزا من أعداء التصوف .. قد يقولون مثلا : انظروا الى أى حالة ينتهى التصوف بصاحبه : عبد ناحل الجسم ، جلد على عظم .. أهذه نهاية يرضاها الدين للمسلم ، والمسلم ينبغى أن يكون قويا .. الى غير ذلك من الاتهامات التى لا يراد بها الا الباطل ، وما هكذا تؤخذ الأمور ، وتخلط الأوراق .

سأغمد قلمى المشحوذ فى مواجهة المتخرصين الى حين ، وأدع الكلام للطبيب العالم الفيلسوف ابن سينا وهو يشخص قوة بدن هذا الزاهد العابد حين يقول : من المعلوم ان الجسم كلما كثرت أغذيته كثرت السموم فيه الناجمة عن انتشار الفضلات ، وبهذا لا يكون الصفاء فى العقل ، فاذا قلت الأغذية قلت الفضلات وقلت السموم وزاد صفاء العقل » . المعرفة والعارفون آخر كتاب الاشارات والتنبيهات .

ثم استمع الى قصة الوزير العظيم نظام الملك الذى رصد لانشاء الأربطة والمساجد ميزانية بلغت ستمائة الف دينار سنويا ، فلهج العلماء والزهاد والعباد والصوفية باسمه ، « ولكن أهل السوء استكثروا النفقات المبذولة على أهل الورع ، فسعوا بالوقيعة بين الوزير والسلطان ملكشاه السلجوقى زاعمين أن هذه النفقات تكفى لانشاء جيش تتركز رايته فى أسر القسطنطينية فقال له الوزير : يابنى أنا شيخ أعجمى لو نودى على فيمن يزيد لم أحفظ خمسة دنانير ، وأنت غلام تركى لو نودى عليك عساك تحفظ ثلاثين دينارا ، وأنت مشتغل بلذاتك ومنهمك فى شهواتك ، وأكثر ما يصعد الى الله تعالى —

http://esamanas8.blogspot.com/

معاصيك دون طاعتك ، وجيوشك الذين تعدهم للنوائب اذا احتشدوا كانوا معك بسيف طوله ذراعان وقوس لا ينتهى مدى مرماها ثلاثمائة ذراع ، وهم مع ذلك مستغرقون فى المعاصى والخمور والملاهى والمزمار والطنبور ، **وانا اقمت لك جيشا يسمى جيش الليل** ، اذا نامت جيوشك قامت جيوش الليل على أقدامها صفوفا بين يدى الرحمن فأرسلوا دموعهم وأطلقوا السنتهم ، ومدوا الى الله تعالى أكفهم بالدعاء لك ولجيوشك ، فأنت وجيوشك فى خفارتهم تعيشون ، وبدعائهم تبيتون وببركاتهم تمطرون وترزقون .. فسكت ملكشاه » سراج الملوك ص ٢٦٧ .

***

● واذا كان لنا أن نضيف شيئا فاننا نقول ان القضية فى اساسها قضية حب ، حب العبد للرب ، ولا نجادل سويا فى أنه حب كبير ، وكل حب كبير يقاس بعنصر التضحية فيه ، فاذا كنا نسيغ فى محب مخلوق لمخلوقة أن تتبدل حاله ، وأن يقل طعامه وشرابه ، وان يتشرد ويهيم على وجهه ، وأن يضعف بدنه .. الى آخر ما نقرأ عن حب العذريين والرومانسيين فى كل العصور فاننا نسمح لأنفسنا أن ننظر بتفهم وباشفاق لهذا المحب الواله فى حب مولاه ؟ فهذا هو الحب الأسمى والأسنى .

ومن قبل ذلك .. فان الصوفية لا يقولون بأن هذا الحب مطلوب من الكافة ، وانما هو مطلوب ممن لا يجرفه حطام الدنيا الفانية ، وتستهويه مشاغل المنصب والجاه والمال .. هؤلاء هم جيش الليل كما يقول الوزير نظام الملك : أجسامهم ضامرة ولكن صرخات استغاثتهم وأدعيتهم تتعالى لتتناقلها الرياح الأربع عبر الكون الشامخ ، هؤلاء هم الذين يبتغون فى حروبهم احدى الحسنيين : النصر أو الشهادة ، هؤلاء هم المنتصرون لأنهم المؤمنون ..

أما ضمور الجسم ونحوله فتلك ظواهر لا جواهر .. ياالهى ! ما أشد حاجتنا الى مئات صابرة من أمثالهم كى نعيد صياغة تاريخنا الذى تاه منا !

ليكن البدن .. هذا القفص الترابى ما يكون .. المهم أن تشرئب الروح الى بارئها ، وعندئذ تكون أقوى الأقوياء على ظهر هذه الأرض . ومع كل ذلك .. فاننا نقول ان هذه الأحوال التى تنتاب العبد وهو يتسلق درج المحبة ليست الا حالا شهودية عابرة تنم أثناء خلوته ، فاذا ما قبضت عنه هذه الحال عاد ليمارس حياته العادية سواء أكان وزيرا أو خفيرا .

ولماذا نذهب بعيدا وأنتم لا تفكرون أن انتشار الاسلام فى أصقاع افريقيا وآسيا قد حمل بعض أمانته لفيف من خماص البطون ، الذين تتولاه أرواحهم بذكر الله وحبه وابتغاء رضاه .

***

http://esamanas8.blogspot.com/

(٢) صَاحبُ الكتاب

نكتفى هنا من سيرة صاحب الكتاب بالنقاط التى تلقى الضوء على الكتاب الذى نحن بصدده •

ولد فى ربيع الأول من عام ٣٧٦ هـ وتوفى فى السادس عشر من ربيع الآخر عام ٤٦٥ هـ •

وكان ميلاده فى استوا وهى احدى قرى مدينة نيسابور ، وتلقى تعليمه الأولى ودراساته الدينية فى قريته •

والقشيرى عربى النسب من جهة أبيه ومن جهة أمه ، فهو بهذه العروبة التى تجرى فى أصلابه من أحسن الردود على من يتهمون التصوف بأنه نتاج عناصر أجنبية غريبة عن العرب •

فهو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيرى وكنيته أبو القاسم ولقبه زين الاسلام وشهرته القشيرى وأمه سلمية أخت أبى عقيل السلمى •

ترك القشيرى قريته استوا وذهب الى نيسابور ليتعلم الحساب كى يشارك مع لفيف من قريته فى اصلاح الموازين الاقتصادية التى كانت قد اختلت نتيجة ثقل الخراج •

ولكنه فى نيسابور وجد نفسه فى بيئة علمية خصبة جذبت كل اهتمامه للتزود منها فتلقى الفقه على يد الاسفراييني وأصول الفقه على ابن فورك والمذهب الشافعى على يد أبو بكر الطوسى •

والى جانب ذلك غشى مجالس اللغة والأدب ، وقرأ مصنفات الباقلانى • ومعنى هذا أنه دخل فيما بعد الى حومة التصوف مزودا بأسلحة كافية من العلوم العقلية والنقلية • وهذه مرة أخرى من أحسن الردود على من يتهمون التصوف والصوفية بجفاء العلم وأنهم يأمرون تلامذتهم بكسر محابرهم !

ولكن الصحفة وحدها وقعت به فى مجلس أبى على الحسن الدقاق الذى كان يتحدث فى علوم القلوب ، ومذهب أرباب الأحوال فى فهم الشريعة والحقيقة ، ولم يستطع عبد الكريم الفكاك عن الحديث والشيخ ، فلزم مجلسه ولكن الشيخ أشار عليه أن يعود مرة أخرى الى مجلس العلوم العقلية والنقلية كى يزداد ثقافة فيهما •

ولم يستطع الشاب الافتراق عن الشيخ ، فحاول بقدر الوسع الجمع بين الرافدين ، فازداد اعجاب الدقاق به ، وقربه منه وازدادت الصلة بينهما توثقا ، وزوجه من ابنته فاطمه التى أنجب منها فيما بعد ستة أبناء كلهم أئمة وكلهم من أرباب الأحوال كما أنجب ابنته أمه الرحيم أم عبد الغافر الفارسى صاحب تاريخ نيسابور •

http://esamanas8.blogspot.com/

وكان أثر الدقاق فيه بعيدا جدا ، وكان زواجه موفقا .. الأمر الذى ساعده على أن يحيا حياة طيبة خالية من التعقدات والصراعات مما يتجلى فى كتبه ، فهو مستقيم الفكر ، سوى النظرة ، واضح الرؤية ، متمسك بمبادىء وقيم حافظ عليها طوال حياته وتظهر بوضوح من خلال مصنفاته .

ولكن القشيرى — شأن الأشاعرة — تعرض لمحنه قاسية ، وذلك حينما حشر الوزير الكندرى اسم أبى الحسن الأشعرى ضمن المبتدعة ، ثم استصدر الأمر من السلطان بسب المبتدعه وهكذا أصبح الناس واذا الأشاعرة يهاجمون على أعواد المنابر .

. وحدثت فتنة اشترك فيها الشعب والجيش فى حدام عنيف ؛ ورأى القشيرى وأصحابه أن من الخير ترك البلاد ..

وفعلا هاجروا الدار والوطن والأهل ونزحوا حتى جاوروا رسول الله ﷺ ، ولبثوا الى جواره عشر سنوات كاملة . وذات يوم ، وكان الأمر قد استقر على أن يختاروا من بينهم واحدا يقول رأى يحسم الخلاف فى العودة أو عدم العودة الى الوطن . وكان هذا المختار هو عبد الكريم القشيرى .

وهنا تتجلى كرامة عظيمة للشيخ .. اذ كان يخطب فى الناس ثم رفع رأسه الى السماء .. وفجأة أخذ يهتف :

ياأهل خراسان بلادكم بلادكم .. انى لأرى الكندرى الآن وهو يمزق عضوا بعد عضو ، ويرسل كل عضو منه الى مكان بعيد .. هيا الى بلادكم . ثم أنشد :

عميد الملك ساعدك الليالى ... على ما شئت من درك المعالى
فلم يك منك شىء غير أمر ... بلعن المسلمين على التوالى
فقابلك البلاء بما تلاقى ... فذق ما تستحق من الوبال

ويقول السبكى فى طبقات الشافعية : ضبط اليوم والتاريخ والساعة واذا برؤية الشيخ من بعيد تتحقق بالفعل .

وعاد القشيرى الى وطنه مع أصحابه ، وقضى السنوات العشر الأخيرة من ٤٤٥ الى ٤٥٥ فى هدوء واستقرار ، وكثرت تصانيفه وتعدد تلامذته الذين كتبوا عنه .

ومن أشهر كتب القشيرى ، الرسالة ولطائف الاشارات والتحبير فى التذكير ونحو القلوب الكبير والصغير ، وشكاية أهل السنة ونكت أهل النهى وترتيب السلوك .. وغير ذلك كثير .

ويهمنا فى نهاية هذه الترجمة الموجزة أن نذكر شيئا له قيمة بالنسبة للسطور الأولى من الكتاب الذى نقدمه ، وهو مدى علاقته بشيخه كما يرويها بنفسه .

http://esamanas8.blogspot.com/

« لم ادخل على الأستاذ ابى على فى وقت بدايتى الا صائما وكنت اغتسل قبله ، وكنت احضر باب مدرسته غير مرة فارجع من الباب احتشاما منه آن ادخل عليه فاذا تجاسرت مرة ودخلت كنت اذا بلغت وسط المدرسة يصحبنى شبه خدر حتى لو غرز فى ابرة مثلا لعلى كنت لا احس بها • ثم اذا قعدت لواقعة حدثت لى لم احتج آن اساله بلسانى عن المسالة فكما كنت اجلس كان يبتدىء بشرح واقعتى وغير مرة رأيت منه هذا عيانا •

ولا آذكر آنى فى طول اختلافى الى مجلسه ثم كونى معه بعد حصول الوصلة آن جرى فى قلبى آو خطر ببالى عليه قط اعتراض الى آن خرج رحمه الله من الدنيا » •

والى جوار ذلك تدلنا مصنفات القشيرى على مذهب له فى كرامة الأولياء ، وفى الرؤيا ، وفى معان خاصة للمصطلح الصوفى كالفناء والبقاء والشرب وجمع الجمع وغير ذلك من دقائق هذا العلم وهى آراء لا تخرج فى صميمها عن الشريعة قيد شعرة • بحيث يمكن القول فى نهاية الأمر آن القشيرى من افضل نماذج الصوفية لتمثيل التصوف الاسلامى الحق فى كل العصور •

رحمه الله رحمة واسعة ، ونفعنا بعلمه •

(٣) نسختا الكتاب اللّتان اعتمدناهما فى البحث

نعتمد فى تحقيق هذا الكتاب وتقويمه على نسختين :

(الأولى) بمكتبة الجامعة العربية بالقاهرة برقم ٢٩١٠ وهى تقع فى ثمانى عشرة ورقة من القطع الصغير ، وهى ذات خط متوسط الجودة ، وخالية من الترقيم والاعجام ، وليس بها تصويبات آو كشوط آو بياض • ونرمز لها بالرمز (ج) •

(الثانية) نشرها المعهد المركزى للأبحاث الاسلامية بباكستان بتحقيق الدكتور فير محمد حسن ضمن مجموعة من الرسائل القشيرية شكاية آهل السنة والسماع ، وطبعتها المكتبة العصرية بصيدا •

ومع تقديرنا الكامل لعمل الدكتور فير الا آنه حرص على نقل النسخة التى آتيحت له نقلا رسميا آى اعتمادا على رسم الكلمات • كما يبدو آنه كان بهوامش النسخة تصويبات : اما من الناسخ الأصلى آو من بعض القراء فيما بعد ، لأجل هذا وذاك فان قارىء نسخة الدكتور فير لا يشعر بتماسك العبارة ، ولا بقدرتها على نقل المعانى المقصودة • ولهذا نظن آن فائدة القارىء العادى من الاطلاع على هذه النسخة ليست محققة بالقدر الكافى • ولولا تمرسنا بأسلوب القشيرى خلال عشرين عاما لانتابنا السأم من قراءة النسخة ، واستبعدنا تحقيقها لأى مقصد •

http://esamanas8.blogspot.com/

لهذا أقبلنا على التحقيق مستفيدين من النسختين ، وأضفنا الى ذلك من عندنا اضافات قليلة وضعناها بين قوسين ( ) وكنا نشعر آن السياق فى أشد الحاجة الى هذه الاضافات ، ولن يجد القارىء الآن صعوبة فى جنى ثمار الكتاب •

كما حرصنا على اثبات الفروق بين النسختين فى هوامش الكتاب ما أمكن ذلك حتى يشترك القارىء فى المتابعة •

ورمزنا لهذه النسخة بالرمز (ف) ، وهى خالية من الحواشى العلمية تماما ، وليس لها مقدمة أو شروح ، ولكننا مع ذلك نكرر تقديرنا لعمل الدكتور فير ، فالعمل الرائد كثيرا ما يفتقر الى الكمال ••

ويأتى عملنا استكمالا لكل هذه الوجوه •• ونأمل أن ينفع الله سبحانه بهذا الكتاب الباحثين بعامة ، وعشاق القشيرى بخاصة • والحمد لله رب العالمين •

الباب الثانى

تحقيق النص وتقويمه

قومنا النص على نسختين

١ — مخطوطة بالجامعة العربية برقم ٢٩١٠
ويرمز لها (ج)

٢ — وأخرى آخرجها فير
ويرمز لها (ف)

http://esamanas8.blogspot.com/

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وسهل

(١)(بداية الطريق : التأدُّب بشيخ)

قال الأستاذ رضى الله عنه :

يجب أن يكون العبد مجردا عن الدنيا ، لا يملك شيئا ، وأن يكون عالما بما يلزمه من فرائض الحق سبحانه وتعالى عليه : توحيدا وشريعة .

وأن يكون أبدا على الطهارة فى نفسه وأثوابه .

وعليه أن يتلمذ لمن سلك — من بين الناس — طريق الله تعالى وتجرد لذلك .

وعليه ألا يشتغل بشىء سوى الحق — سبحانه — حتى ينفعه التعليم .

والتلمذة لمن سلك طريق الله سبحانه وتعالى تجعل السلوك فى طريق الله أقوى وأسرع ، أما من تلمذ لمن لا يوثق فى علمه بهذا الطريق فقد تحجب(٢) .

---

(١) هذه العناوين الجزئية المرقمة والموضوعة بين قوسين ( ) هى من وضعنا .. تسهيلا للرجوع الى شروحها فى الباب الثالث .

(٢) فى ج تعجب وفى ف تحجب وهى الصحيحة .

http://esamanas8.blogspot.com/

انه قد يصل مرة .. ولكن بعد حين ولا يكون بتلك السرعة ، لأنه لا يعنيه شيء عن همة(١) أستاذه وعلمه ، وهو في هذا يكون أشبه بالولد من فحل سوء أما الأول فيكون كالولد عن فحل نجيب .

***

ويشترط الأستاذ على المريد أن يختار الفقر على الغنى ، والذل على العز ، والله — سبحانه — على غير الله .

والا ياكل (الا) ما يعينه(٢) — وان أكل غيره ، والا يقول ما لا يعنيه — وان قاله غيره ، والا يؤثر الرخاء — وان آثره الذين يراهم معه في الرباط .

فاذا ما قبل هذه الطريق يقول له الأستاذ : قبلتك لأوصلك الى طريق الله تعالى بقدر ما تعرف ، وانى لن أبخل عليك بقدر ما عرفته .

ثم يبدأ بتعريفه بأن يوصيه(٣) ان يرى جميع احواله من الله ، وأن أي توفيق يصيبه فهو من الله .. ثم يقول له قل : الله الله الله . ويشدد وصيته له بأن يواظب على هذا الذكر ، والا يشهد غيره ، والا يفكر في غيره ، وأنه اذا شغله عن هذا الذكر أمر من أمور الدنيا فالواجب طرح ذلك الأمر .. حتى لو كان موت والديه !

(١) في ج همت بالتاء المفتوحه .
(٢) في ف يغنيه وهي ساقطة في ج .
(٣) في ف يوصيه الأستاذ .

ويوصيه الأستاذ باتباع الطاعات ، وبخاصة أداء الفرائض والسنن وركعتي الضحى ، وبعد كل وضوء ركعتين .. ثم يعود بعد أداء هذه الطاعات الى الذكر (دون سواه) .

(٢)(الذكر وامتداده)

ويستمر المريد في الذكر حتى يغيب به عن جميع الأشياء ، ويتوقف ذلك تماما على توفيق الله اياه في تقوية ارادته .

ثم يغيب بالذكر عن نفسه .

ثم يغيب بالذكر عن الذكر .

ويبقى مرددا مدة طويلة بين غيبة(١) عن الذكر بالذكر ، وبين حضور للذكر بالذكر ، ولا يزال يرتقي في كل غيبة وحضور الى رتبة أخرى .

حتى يرد ورود آخر عليه أعلى مما سبق ، وعنده يفنى العبد عن كل هذه الأحوال — وهذه هي حال البقاء ، وهي غيبة يسلب فيها عنه لسانه وسمعه وبصره وتبقى له شهادة القلب ، ويعجز فيها اللسان . ويكون القول هنا بالقلب ، نطقا .. لا علما أو مشاهدة ، بل كما كان ينطق بلسانه من قبل فانه هنا يذكر بقلبه .

(١) في ج عينيه وهي خطأ في النسخ .

http://esamanas8.blogspot.com/

حتى يـرد عليه ورود آخـر أعلى من سـابقه ، وذلك بعـد مدة ـ حسبما يشـاء الله له وعليه • ويكون هـذا الورود من حيث الهيبة ، وحين يبدو هذا الورود يظن العبد (عنده) أنـه قريب من أنوار الحق ويفنى العبد فى هذا الورود • وعند ذلك يردد العبـد بين حالى البقاء والفناء •

وفى كل مرة يرد الى البقاء تزداد عبارات قلبه حتى تنتهى الى اذكار يجدها قلبه(١) مدة بالسنة مختلفة ، وبعبارات لم يسمعها من قبل ولا(٢) خطرت بباله •• انها كلها ذكر لله(٣) يملأ كل قلبه حتى انه ليتوهم أن جملة الكون كله تشترك بعبارات مختلفة فى هذا الذكر • ويصير العبد بحيث لا يميز بين الذكر الذى يبدو من قلبه وبين ذكر الكون من حوله ، وذلك بسبب غلبات الاذكار عليه ، فهو يسمعها كلها فى وقت واحد •

وبعد ذلك يورد وروداً آخر ، وخير وصف له أن من ذاقه من سالكى هذه الطريقة ـ على سبيل الوهلة(٤) ـ فانه يموت وذلك من هيبة الحق ـ سبحانه • وعند هـذا الورود يفنى العبـد ولا يبقى منه شىء •

---

(١) هكذا فى ج وهى فى ف (قبله) •
(٢) هكذا فى ج وهى فى ف (والا) •
(٣) هكذا فى ج وهى فى ف (الله) وهى غير مرفوضة فى السياق •
(٤) فى النسختين (الوصله) وهى خطأ ـ كما نعلم من اسلوب القشيرى فى هذا السياق •

وبعده يرد الى حال البقاء فتسلب(١) عنه أحـوال القلب من الشهـادة وغيرها اذ يبدو له من الغيب سر ، وعلامته الا يبقى(٢) للعبد أنفسه فى نفسه شىء ، فليس له الا الله ، هـذه الحالة تشبه حالة البحر عندما تصير كل الأنهار اليه وبحكمه •• وليس لغير الله حكم • وعندها لا يكون(٣) من العبد حركة •• وكان قبلها يتحرك بالوارد الذى يرد عليه ، أما الان(٤) فانه يتحرك بحركة البحر • فاذا بدا تحرك البحر تحرك ، وان سكن سكن ، وهو انما يسمع ويبصر ويشهد بما يبدو له ، وليس بعد هـذه الحالة لبشريته من سـلطان عليه ، ولا حتى لذكره أو جميع أحواله •• انمـا السلطان هنا(٥) للبارى وحده ـ عز شأنه •

والعبد فى خلال هذه الحال الأخيرة ، وعند وصوله الى هـذا المقام الذى هو نهاية ـ يرى جملة الكون يضىء(٦) بنور الله تعالى بحيث لا يخفى عليه فيه شىء ، فكأنه يرى جميع الكون من السماء والأرض •• لا رؤية عيان ولكن رؤية قلب وبصيره ، لأنه لا يرى فى هذا الوقت (بعينه من حيث هو شىء)(٧) ، كمـا أنها ليست رؤية علم حيث لا يشعر بحركة فى الكون لذرة أو لنمله •

---

(١) فى ف (يسلب) •
(٢) فى ج (فلم يبق) وفى ف (فلا يبقى) •
(٣) فى ج (والا يكون) •
(٤) فى ف (فالآن) وهى غير مرفوضة فى السياق •
(٥) هكذا فى ج وهى ف (هذه) وقد تكون فى الأصل (فى هذه) •
(٦) هكذا فى ج وهى فى ف (لهن) والسياق يرفضها •
(٧) ما بين القوسين منبهم فى النسختين وقد قومناها هكذا ليستقيم السياق •

http://esamanas8.blogspot.com/

الفصل الأول

(٢)(محاذير وعقوبات)

اذا تحقق الذاكر فى ذكر اللسان رجع ذكر لسانه الى القلب ، (فيذكر بقلبه ، وعند ذاك ترد عليه أحوال يجدها ويسمعها)(١) من قلبه ذكرا لله ، انها أسماء وأذكار لم يسمعها من قبل قط ، ولا قرأها فى كتاب ، انها بعبارات مختلفة وألسنة متباينة .

والعبد ــ ان لازم همته ، ولم يلتفت الى هذه الواردات ولم يلاحظها نال(٢) منها المزيد بعد المزيد حتى ينتهى الأمر الى ذكر السر .

ومرة أخرى .. ان التفت الى ما يجرى عليه من هذه الأحوال ، لاحظ هذه التسميات والأذكار ، أو نظر اليها واشتغل بها ــ فهو قد أساء الأدب واستحق العقوبة فى الوقت ، وعقوبته : أن ينقطع ــ أولا ــ عنه المزيد(٣) ، ثم يعاقب ثانيا ان صبر على ذلك . وتكون العقوبة بأن (يرد عن هذه الأحوال الى حال العلم)(٤) .. اذ يظن ــ متوهما ــ أنه قد فتح عليه بعلوم(٥) الأولين والآخرين .

---

(١) ما بين القوسين مقوم حسبما ورد فى الكتاب نفسه فى مواضع شتى .

(٢) فى ج (مال) وهى مرفوضة فى المعنى .

(٣) فى ج (المريد) وهى غير مقبولة .

(٤) فى النسختين (بان يرد الى حال العلم) .

(٥) فى ف (علوم) .

وعندما يلاحظ ذلك ويغتر به فهو من قبيل سوء الأدب الذى يستحق العقوبة ، والعقوبة هنا بأن يرد الى حال الفهم .

والفرق بين حال الفهم وحال العلم أن العلم كان وجوها(١) ترد على قلبه أما الفهم فهو نظر الى هذا العلم ، فكأن(٢) الفهم هو علم بأنه كان له علم بتلك المسائل .

وهو ان نظر الى الفهم فقد أساء الأدب وعقوبته فى هذه المرة الأخيرة أن يرد الى حال الغفلة ــ (والعياذ بالله)(٣) .

---

(١) فى ف (وجود) .

(٢) فى ف (كأن) وفى ج (كان) .

(٣) اضافة من عندنا ليتماسك السياق ويتضح .

http://esa[...]anas8.blogspot.com/

زيادة يرتقى بها مع كل نفس وكل ساعة الى آن يرد عليه قهر عظيم •• وتلك شئون ذكر اللسآن •

فاذا فنى الذاكر فى ذكر اللسان — كمـا سبق — انقطع عنه ذكر اللسان ، وعندئذ لا يجد العبـد من نفسه شيئا : لا من السمع ولا من البصر — الا شـيئا (١) ضعيفا ، ويصـير كل ذلك بعدئذ الى القلب ، فيسمع من قلبه الذكر •• وعنـد هذه الحالة يتمنى آن يكون وحده فى مفـازة! لأن عنـده أن الناس يسمعون بآذانهم ذلك الذكر الذى فى قلبه ، وهو لا يدرى آن احدا غيره ليس يسمع ذلك الذكر •

---

(١) هكذا فى ج وهى ف (شـاه) ولا معنى لها .

الفصل الثانى

(٤) (القلبُ الذاكرُ)

اذا ذكر العبد بلسانه وقويت(١) همته فى هـذا الذكر وواظب على ذلك حريصـا عليه راغبـا فيه بحيث لا يبقى(٢) منه جـزء(٣) الا وله الحرص والرغبة — فانه ينظر بقلبه فيجد آحوالا ترد عليه آثر آحوال ، فقـد يتوهم انه يربو ويعظم حتى كانه يصير اكبر من كل شىء !

وعند هذا التوهم يرد عليه من الحق سبحانه قهـر من خوف يدهشه ، وبه يمنع(٤) العبـد من آن يعظم فى نظر نفسه ، فيذهب ذلك عنه ، ثم يصطلمه(٥) فيعيده •

فاذا آعاده عاد العبد الى حالة اقوى من الأولى • ويعظم حتى كانه آعلى من حالتـه الأولى •• فيرده •• وهكذا : لا يزال العبـد مرددا بين هذه الأحوال :

---

(١) هكذا فى ج وهى فى ف (فتقوى) .
(٢) فى ف (الا يبق) وهى خطا اسلوبى ونحوى .
(٣) فى ف (جـزو) ولا باس بها ، ولكننـا آثرنا الاسـهل على اللسان .
(٤) فى ف مشتبهة .
(٥) فى ف (يصطلبه) وهى خطا ، لان الاصطلام اصطلاح صـوفى (انظر الشروح) .

http://elamanas8.blogspot.com/

الفصل الثالث

(٥)(ذكر الجَوَارح)

عند(١) ابتداء الذكر بالجوارح يجد العبد حركة فى كل جوارحه حتى لا يبقى جزء من لحمه وعظمه الا وفيه حركة واختلاج .

وتقوى الحركات والاختلاجات حتى تصير أصواتا وكلمات تنبعث مسموعة من جميع الجوارح والأجزاء — ماعدا اللسان ، لأن اللسان لا ينطق فى مثل هذه الأحوال .

ويلازم العبد التركيز فى هذه الهمة وهو يتيقن أنه لو لاحظ هذه الأذكار وطلب علمها فانه ينفى عنها الى غيرها .. ذلك لأن الذكر قد وقع على القلب .

صحيح انه فى حال ذكر اللسان قد يكون للجوارح حركات واختلاجات ولكنها ليست على هذه الدرجه من القوة والشموليه .

(١) فى ف (فى البداء)

الفصل الرابع

(٦)(الشّرب)

يظهر على العبد شىء يجد له حلاوة فى فيه وفى حلقه حتى ليقوم(١) له ذلك مقام طعامه وشرابه ، وهو يجد منبع ذلك الشراب — فى(٢) أصول أسنانه — أحلى من العسل ، فيبقى أسنانه مطبقه بعضها على بعض ، ويشق عليه لو يفتح فاه حينما يجد الشراب فى فيه على هذا الوصف .

وفى حال هذا الشرب يقرب العبد من الموت كأنه(٣) يذوب ويكاد يموت ، والواقع أنه لا يخاف عند ذلك الا من الموت ، لأنه يحول بينه وبين هذا الشرب .

وهذه الرتبة التى يبلغها العبد يهرب عندها ألف رجل من هذه اللذة ، ولا يهرب منهم واحد من الألم ، لأن(٤) هذه اللذة أصعب وأقرب من الموت ، حيث يذوب العبد ويتلاشى وكأنه فى طريقه الى الموت . وقد يبلغ العبد فى هذه الحالة الى درجه أنه ان صحبته هذه اللذة دون أن تسقط عنه الى حال (أدنى) ان يهرب من الخلوة ، لأنه اذا ما خلا هكذا ساعة استولت عليه اللذة حتى تقرب به(٥) من الموت .

(١) فى ف (يقوم) .
(٢) فى ج هكذا وهى فى ف (من) ولا بأس بها أيضا .
(٣) فى ف (بحيث) وهى جميلة فى السياق ولكننا آثرنا فى (ج) توضيحا لمرحلة أدنى من مرحلة قادمة .
(٤) فى ف (فان) ولست خطأ .
(٥) فى ف (تقربه) .

http://esamanas8.blogspot.com/

ولهذا فان بعض المبتدئين يهرولون من الخلـوة عندئذ ويؤثرون الخلق(١) هروبا من هذه اللذة .. ويقول أحدهم : أنا أهرب من الخلوة لهذا الشأن !

قال الأستاذ :

وصاحب هذه الأحوال فى حال هذه اللذة تقوى معرفته ، ويحتد بصره وبصـيرته حتى كأنه يسمع وقع أقدام النمل ! وهو فى البداية يتمنى ألا ينام(٢) ، ويبذل أكبر همته فى ألا يجد المنام أو يستريح من هذه المسألة . ولهذا فان علامة صـحة هذه اللذة أن العبد لا يأخذه النوم طالما هو فى هذه المسـألة حتى لو بقى سنين .. (وعندما تضعف هذه المسألة)(٣) فانه يجد النوم(٤) .

(١) هكذا فى ج وهى فى ف (الخلوة) وهى خطأ فى السياق .
(٢) فى ف (المنام) والسياق يرفضها .
(٣) فى ف مضطربة العبارة .
(٤) هكذا فى ج وهى فى ف (المنام) .

الفصل الخامس

(٧) (حال جَمْع الجَمْع)

لأهل النهاية مسـألة .. وهى أنهم قد يرد(١) على سرهم مرة خطاب لا يشكون أنه من الحق سبحانه ، ويكون هذا الخطاب باللطف(٢) والمناجاة ، فيجيب السر على هذا الخطاب .

والعبد يسمع من الحق الخطاب ومن السر الجواب(٣) .

فاذا كان الخطاب بالهيبة سكن السر من هذه الهيبة .

ولكن العبد قد يجد مرة كلاما هو فى نفسه خطاب وجواب ، وأنه — أى العبد — ليس له فى هذا أو ذاك شىء يعلمه بمعرفته الخاصة ، وانما هو أشبه بالنائم عنهما .. انه ليس هو الحق .. لا بل ان ذلك كلام الحق .. انها حيرة ، وليس له أى تمييز .

وهكذا .. فان غابت(٤) عن العبد هذه المعرفة اللطيفة ، وارتفع عنه التمييز فقد وصل الى حال جمع الجمع ، (وتصدر عن العبد عبارات ظاهرها غريب غامض ولكن باطنها سليم) .

(١) فى ف واو زائدة (قد ويرد) .
(٢) فى ج (اللطيف) .
(٣) هكذا فى ج وهى فى ف (والعبـد يسمع من السر الجـواب) ومن الحق (الخطاب) ولكن السياق يقتضى تقويم النص على هذا النحو .
(٤) فى ف (غلب) .

http://esamanas8.blogspot.com/

فالعبد اذا يعلم حقيقة الأمــر (المريب) بما له من وحشــة(١) وسماجة •• واذن فليس ذلك من لدن الحق سبحانه بل من الشيطان •• مهمــا كان ظــاهره ، حتى لو دعــا الى طــاعة : كالأمر بالحج أو بر الوالدين مثلا •

وانما قصد الشيطان أن يرتج على العبد برده من الحاله العليــا الى الحــالة الدنيا ، ويريد الشيطان أن يربح مراده فى هــذا العبد بهذا المقدار •

كذلك فان هــذا الخاطر ــ الذى من الشيطان ــ انما يعلم أنه منه بكونه ضدا للحال التى عليها العبد ، ومع أن الشيطان ربما يصور للعبد أن تلك حالة أعلى من حالتــه الا أنه يكون ضــدا لما بالعبد (فى ميزان) الاستحلاء والوحشة • أما اذا كان الخاطر من الحق سبحانه فانه يجد له الشكلية لما مع(٢) العبد فيتفقان ، كشخصين(٣) متفقين فى الصنعة والهمة يلتقيان ويتفقان ، أما اذا كانا ضدين فى الحرفه فانهما يتزاحمان • وكذلك شأن العبد : اذا كان على خاطر من الحق سبحانه ، ومعه (ما معه) من الصناعة ورأس(٤) المــال فاذا(٥) ورد عليه شىء من الشيطان عند ذلك استطاع أن يفرق وأن يميز بينه وبين ما هو عليــه

(١) فى ج (بالوجه) وفى ف (بالوحثة) بالثاء .
(٢) فى ج (معما) وفى ف (مع ما) .
(٣) فى ج (بشخصين) .
(٤) فى ج (وراش) .
(٥) (الفاء) اضافة من عندنا لبتماسك السياق .

الفصل السادس

(٨) (حينما يقتحم الشيطان حصن أرباب الأحوال)

العبد يعرف الخواطر ، ويميز بينها • وذلك بأن يعرضها على العلم والأمر والنهى ، فما يصــح منها (فى ضــوء ذلك) فهو الصــحيح ، وما لا يصح فهو باطل يجب طرحه •

والطف من(١) ذلك مسألة أخرى •• هى (٢) أنه ربما يكون العبد قد وصل الى حال شريفه ، ويريد الشيطان أن يرده عنها الى حال(٣) أدنى من تلك الحال •• فيدخل عليه الشيطان ويخطر بباله • ولكن العبد حينما يعرض ذلك الخاطر الدخيل على العلم وعلى الأمر والنهى يكون صحيحا ــ مع أنه من الشيطان • ولكن هذا العبد العارف يعرف بمقدار (معرفته حقيقة الأمر)(٤) •• وقل فى الناس من يفطن الى ذلك •

ان العبد يعرف حقيقه الأمر بانه يشعر بوحشه تعود عليه منه ، ولهذا فحينما يصل الى القلب ويرد(٥) عليه يصرفه القلب فورا لأنه يوجعه كأنما هو طعام ليس به ملح •

(١) فى ف (فى) .
(٢) فى النسختين (وهو) .
(٣) فى ج (حــالة) والــكلام فى الاحــوال ومفردهــا حــال حسب المصطلح .
(٤) عبارة مقومة لأن الأصل مضطرب .
(٥) فى ج وف (أورده) .

http://esamanas8.blogspot.com/

(فى ميزان) الضدية والشكلية ، أى بين وارد الشيطان — لعنه الله ، وبين وارد الحق(١) — جل وعلا .

هذه الخواطر والأحوال التى ترد على العبد لها أصوات يسمعها العبد ، وهى أعلى ما يكون وأحسن ما يكون حتى كأنها ألذ وأطرب وأشهى من أصوات الأوتار والمزامير والبرابط(٢) كلها أصوات حلوة(٣) حسنة .

ولكن قد يأتى الخاطر من الشيطان بحلاوة أيضا .. بل ربما كان أتم حلاوة — فى الصورة — من هذا الذى عليه العبد . ولكن(٤) مع ذلك ، ومهما ألح الشيطان على العبد فيه فان العبد لا يعود عليه أنس (أو راحة) .

ولذلك فانه اذا كانت للعبد هذه الأحوال(٥) (الشريفة) ووردت عليه خواطر من طرف الشيطان فان العبد يتوصل الى أنها من الشيطان ، وذلك لما يجد بينها وبين ما عنده من الحق (فى ميزان) الوحشة(٦) والاختلاف .

(١) فى النسختين (وبين ما معه من الحق) وقد قومنا النص بما يوضح الاسلوب على نحو أيسر .
(٢) كلمة فارسية مفردها (بربط) وهو آلة موسيقية ذات أوتار كالعود .
(٣) فى ف (خلق) .
(٤) فى ف (وكان) .
(٥) فى ج (الاصوات) .
(٦) فى ج (الوجه) .

أما اذا لم يكن للعبد شىء من الحق من الأحوال الشريفة فانه لا يتوصل على وجه الاستيقان : هل هى من الشيطان أم من الحق . على أنه اذا قوى فى الذكر ترقى(١) بالتدريج الى سماع الأصوات المؤنسة ، فاذا(٢) ما ورد عليه خاطر من الشيطان بعدئذ ميزه بالضدية لما بينه وبين ما صار لديه من الحق — سبحانه(٣) .

(١) فى النسختين (فترقى) .
(٢) (الفاء) اضافة من عندنا .
(٣) اضافة من عندنا .

http://esamanas8.blogspot.com/

الفصل السابع

(٩) (السكون وإسقاط التدبير)

قال : مثل(١) المبتدئين مع الاحوال كمثل (الانسان) مع الطير الوحشى ؛ فاذا(٢) كان فى الانسان حركه أو قوة أو أثر للحياة والحس فر منه (الطير الوحشى) واستوحش ولم(٣) يقع عليه . أما اذا سكن الانسان فان الطير الوحشى يتوهم أنه ميت لا حراك فيه ، فيأنس به ويقع عليه ولا ينفر منه .

كذلك(٤) المبتدىء فى الأحوال يجب ان تسكن حواسه وآلا تتحرك انفاسه ، وآلا يحرك بدنه أو جزء من بدنه ، وآلا يمد طرفه للاشياء(٥) ، وأن يكون مراعيا نهمته بحيث لا يتحرك جزء من نفسه أو من بدنه أو من باطنه حتى تبدو له الاحوال بعد طول هذه المراعاة(٦) .

وحينما ترد هذه الاحوال ينبغى آلا ينظر اليها . ولا الى ما يبدو له منها البته لئلا(٧) يحجب عنها ، وبهذا (ينتال) عليه المزيد منها — ان شاء الله تعالى .

---

(١) فى النسختين (فعل) بدون نقط .
(٢) فى النسختين (فان) ولا باس بها .
(٣) فى النسختين (ولا) .
(٤) فى ج (كذى) وفى ف (كذا) .
(٥) فى النسختين (ولا شيئا) .
(٦) فى ج (المراعات) بفتح التاء .
(٧) فى ج (ليلا) .

قال : وهذا الطريق — الذى هو طريق الله تعالى — لابد فيه من طول المجاهدة ، والمقاساة لما تحتمله الأسماع والقلوب من الشدائد حينما تحل بالعبد .

والعبد لا يؤثر هذه المجاهدات (باختياره) ولكنه(١) حينما يسلك سبيل الله تعالى تدخل هذه المجاهدات عليه (شاء أم أبى)(٢) لأنه لو كان منها شىء بتكلفه ما صبر عليها قليلا أو كثيرا .

(وتعود بى الذكرى) الى عهد ابتدائى فى الارادة والمجاهدة وأحوال الذكر أنه كان لو استتر عنى(٣) شىء من هذا السخاء(٤) لكان ذلك أهون على من أن أقوم للأكل أوأتحرك للوضوء وغير ذلك . ولكن جاء وقت بعد ذلك حينما كنت أغيب فى الذكر أو يغيب عنى(٥) فيه الذكر كان يشق على التقصى عما أنا فيه حتى لا يفوت الذكر ، بل كانت تدخل على تلك المجاهدات — شئت أم أبيت لئلا أرد الى ما عليه الناس من أحوالهم .

***

---

(١) فى النسختين (ولكن) .
(٢) فى ج (شيا أم ابا) وفيها خطأ فى النسخ .
(٣) فى النسختين (منى) والصحيح ما اثبتناه .
(٤) فى ف (السماء) ولكن الأحوال فيض الجود والسخاء .
(٥) فى ج (عن) .

http://esamannas8.blogspot.com/

(١٠)(مُطاردة النّوم والغفلة)

قال : وكانت تجرى على أشـياء فى حـال الذكر عند(١) قـرب (حصـول) كرامات ، ولكنها كانت فى ذلك الوقت (بعينه) أشـد من الزلة(٢) ، ولو ابتليت بالزلة لكان (صرفهـا) عنى أهون منها ، وذلك مثل مقاومة غلبة النوم • لقد كنت أريد ألا أنام ألبتة حتى لا أغيب عما أنا فيه من الذكر لحظة واحدة •

لهذا •• كنت أصعد لأقعد على حجر ناتىء فى جدران بيتنا(٣) ، وكان هذا الحجر من الصغر(٤) بمقدار ما أضع عليه قدمى (فقط) • وكان من تحتى واد ، ومن فوقى شاهق(٥) •• وهكذا كنت أطرد النوم اذا توهمت نفسى مستلقيا على هذا الحجر الصغير المعلق فى(٦) الهواء دون أن يكون(٧) تحتى شىء !

---

(١) فى ج (عيد) •
(٢) فى ف (الزنا) •
(٣) غير واضحة فى النسختين •
(٤) فى النسختين (الحجر) •
(٥) فى ج (ساحق) •
(٦) فى النسختين (على) ولا باس بها •
(٧) فى ج (كان) •

أو ربما كنت ــ وأنا فى هذه الأحوال ــ بالمسجد وأريد أن(١) أدخل الزقاق(٢) •• فكنت أمنع نفسى عن ذلك حتى لا أنظر الى شىء (يشتتنى) فأقعد بالمسجد وأجهد ألا يأخـذنى النوم ، وأحيانا أنتبه فاذا أنا أجد نفسى فى الزقاق !

كنت أرى هذه الأحوال ، وكنت أعدها غفلات ، وكنت أقول لنفسى هـو ذا يقبضنى(٣) بالنوم عن الذكر ، وبه لا يجعل لى سـبيلا الى البسط(٤) •• (فأغالب حتى أتيقظ) ، وأعود الى الذكر •

---

(١) فى ج (أرهان) ولا معنى لها •
(٢) فى النسختين (الكوجـه) وهى كلمة فارسـية بمعنى الحـارة أو الزقاق •
(٣) فى ف (يقطعنى) •
(٤) فى ج (البسيط) وهى خطأ •

http://esamanas8.blogspot.com/

الفصل الثامن

(١١) (تنبيه للمُبتدئين)

قال الأستاذ :

المبتدىء — فى ابتداء أمره — يجتهد ويجتهد •• فيتباعد(١) عنه مقصوده — هكذا أجرى(٢) الله تعالى (سنته) •

ولكن •• بعدئذ وبفضل منه سبحانه يظهر له الكشف بعد يأس •

وهكذا كنت أنا فى الابتداء •• كنت كلما ازددت جهدا ازداد الشىء المقصود عنى(٣) بعدا ، تلك أيضا كانت سنته تعالى معى • ولكن بعد استدامة الذكر ، وورود أحواله جـاء وقت بلغت فيه الى موضع كنت أرى (بنفاذ البصيرة) جميع المخلوقات ، وذلك حينما اصل الى الانتهاء الذى عنده تظهر أنوار الحق ويبلغ الذكر السر(٤) ، وبعدئذ أعاد الى البصر والى مثل أحوال الناس •

---

(١) فى ج (فيباعد) •

(٢) فى ج (كذى اجر) •

(٣) فى النسختين (منه) •

(٤) فى ج (يس) وهى خطأ من الناسخ •

الفصل التاسع

(١٢) (نهايات الأحـوَال)

ومن خلوص الأحوال ما كان بينى وبين أبى الفوارس وأبى على الحسن(١) كانا عندى •• وكانت ليله العيد ، وكانا نائمين فخطر ببالى ان لو كان عندنا سمن لطعمنا اليوم كذا وكذا •

واذا بأبى الحسن وهو فى النوم يقول :

ألق هذا السمن من يدك ! ايش هذا ؟ وكرر ذلك ثلاث(٢) مرات • فأيقظته من النوم •• وقلت له : ايش تقول ؟

فقال : لا شىء •• الا أنى كنت أرى فى النوم كأننا فى موضـــع رفيع ، وكانت ارادة الحق أن تظهر أنوار الهيبة ، ووقعت الهيبه(٣) على الناس ، وأنت معنا وبيدك سمن فصحت بك قائلا : ألق السمن(٤) من يدك !

ومرة أخـــرى كنا قد بلغنا ذكر القلب فقال لى أبو على الحسن : اذهب معى الى بعض القرى(٥) ••

---

(١) فى ف (أبى الحسن) وعـــد غير أبـــا الحسن الخرقانى ، ولكن معرفته بشيخ القشيرى الذى علمه ، واخـــذ عنـــه طريقته تجعلنا نفترض أنه هو المقصود (انظر ترجمة القشيرى فى المقدمة) .

(٢) فى ج (ثلث) .

(٣) فى ج (الهية) بدون باء والمقصود حال الهيبة .

(٤) فى ج (سمن) بدون أداة التعريف .

(٥) فى النسختين (بعض الرســـاتيق) وهى جمـــع رســـتق كلمة فارسية معناها القرية .

http://esamanas8.blogspot.com/

وسرنا ، ثم قال لى ونحن فى الطريق :

أقعد على هـذا الحجر ، وأطبق ما بين شفتيك وقـل : يا الله يا الله يا الله(١) .

ففعلت ، واجتهدت ألا أفتح الفم حتى امتلأ بالذكر ، وعاد الذكر الى السر ، وبقيت فى ذلك الـوقت على هـذا وأجتهـد فى سرى أن أداوم : يا الله يا الله يا الله وأجرى فى سرى ذلك ، وقد يجاوز الخاوة(٢) أو لا يجاوزها .. الى أن صار ممتدا .. ثم أخذت عنى ففنيت . فلما أعدت ــ وكان عند(٣) الصلاة ــ حملنى (الشيخ) فى تلك الليله الى القرية . وفى الليلة (ذاتها) ردنى الى البلد .

وأخذت فى النحول حتى صرت عظاما ولا لحم لى(٤) البتـة ، ولم يبق لى منه الا جلدا(٥) .. كل ذلك فى يوم واحد وليلة واحدة !

(١) فى النسختين قل (خـدائى) وهى كلمـة بالفارسـية معناهـا يا الله او يا الهى .

(٢) فى ج وف (الخلاء) وهى مصدر خـلا خلاء وخلوة وقـد آثرنا (خلوة) لأنها الأقرب الى الأذهان فى السياق .

(٣) فى النسـختين (بعد) ويمكن قبولها لأن الفرق الثانى بعـد جمع الجمع لأجل الفرائض يحدث عند الصلاة ، فحمله (بعدها) .

(٤) فى النسختين (على) وهى مقبولة فى السياق ايضا .

(٥) فى ف (جلده) .

وسكن عندى(١) كل ذلك ، والى سنة (كاملة) لم تعد لى حالتى ن قـوة الحس(٢) ، كما أنـه لم يرد على البتـة شىء يزيد فى حالى ينقص منه .

" تم الكتاب "

بعون الله وحسن توفيقه .

(١) فى ف (على) .

(٢) فى ف (النعس) ويمكن قراءتهـا (النفس) وسكون الحواس الانفاس من امارات التمكين (راجع فصل السكون واسقاط التدبير) من هذا الكتاب .

http://samanas8.blogspot.com/

الباب الثالث

شُرُوح وَتعليقات

http://esamanas8.blogspot.com/

(١)(بداية الطريق : التأدب بشيخ)

يقصد الشيخ « بالتجرد عن الدنيا وألا يملك العبد شيئا » · ألا يصل به أمر التعلق بالدنيا الى البعد عن ربه ، وليس مراده أن يصل الأمر بالمرء الى التواكل والقعود والمسألة ، ولا نتصور أن الصوفية حين يوصون بهذه الوصية يرون شيئا من ذلك والا تناقضوا مع أنفسهم ، لأنه كيف يطلب الى العبد أن ينصرف بكل همته الى الخالق فى حين يتاح له أو يجوز له أن يمد يديه للمخلوق .

بقى أنهم يشترطون وجود العمل الذى يتكسب منه الانسان عيشه وعيش من هم فى نطاق مسئوليته .. أيا كان هذا العمل صغيرا أو كبيرا ، المهم أن يكون شريفا وألا يشد الانسان الى حبائل الدنيا ، ويقع فى دورات أطماعها التى لا نهاية لها .. وعندئذ لا يأتى منه شىء .

بمثل هذه الروح يجب أن تؤخذ تعاليم الصوفية فى هذا الخصوص ، من أمثال : التصوف قطع العلائق واليأس مما فى أيدى الخلائق و : ألا تملك شيئا أو يملك شىء و : التمسك بالفقر والافتقار ، والتحقق بالذل والايثار ، وترك التعرض والاختيار ... الخ .

***

http://esamanas8.blogspot.com/

أما ضرورة التأدب بشيخ يوثق فى علمه فهذه حتمية تفرضها طبيعة البداية ، فعلم التصوف يمتاز عن غيره من العلوم باشياء منها الاجتباء الالهى ، والاستعداد للبذل ، وضرورة التأدب بشيخ .. ذلك لأن العبد وهو يخوض معارك هذا الطريق فيما بين نفسه الأمارة بالسوء ومن قلبه المشتاق الى مزيد من الحقائق والعرفان يكون أحوج ما يكون الى شيخ يفوقه فى التجربة لأنه سبقه اليها ، ولأنه خاضها بكل مقاماتها وأحوالها ، ولأنه عليم بكل دقائق الرياضات ورقائق المنن ، ولأنه تعلم من أجيال سبقته فى هذا الموقع كيفية مغالبة النفس النزاعة الى النكوص ، وكيفية معالجة المساكنات والملاحظات فى وقتها حتى لا تسد الطريق عليه .

ويواظب الشيخ على توجيه المريد ، ويسهم فى حل مشاكله ، ويرشده ويلهمه بكل الهمة كأنما يتولى غرسا حتى مراحل الحصاد ، أو كأنما يضع قطعة المعدن فى التنور لتصفو من كل كدوراتها . ويمر الوقت ويصبح الشيخ فى خاطر المريد القوة المهيمنة على التوجيه والهداية ، وهكذا يعتاد المرء دائما على تمثل قوة عليا لها سيطرة على ارادته بحيث لو انتهى الى ذاتيته المستقلة — عندما ينبهه الشيخ الى ذلك — يصبح الطموح هو أن ارادة الحق سبحانه هى التى تليها التمويل والفضل .

واذا كنا قد تحدثنا فى مقدمة هذا الكتاب عن ضرورة الاستفادة من « النموذج الصوفى » لنصلح به مجتمعنا ، فها نحن أمام ذلك

« الانسان المنتمى » الذى لا يمزقه الضياع ، وتتولاه أعاصير الأفكار الوافدة من شرق ومن غرب لتمزق كيانه . ونحن أمام الانسان « المقتدى » الذى يتخذ له نبراسا يهتدى به .. وما أشد حاجتنا الى كل من الانتماء والاقتداء من طفولتنا وصبانا الى كهولتنا وشيخوختنا سواء كنا حكاما أو محكومين .

ان **نظرية الشيخ والمشيخة** فى عالم التصوف تعلمنا أنه لا شجرة بدون غارس ، وأن الشجرة اذا نبتت بدون غارس فانها تورق ولكنها لا تثمر .

والشيخ لا يمنح اشارة الاستمرار الا لمن يستحقها ، ويتأخر فى منحها لمن لا يستحقها وهذا أدب لنا جميعا ، لو اتبعنا خطاه وترسمنا ملامحه لما شهدنا قفزا بهلوانيا للانتهازى على أكتاف الأكفاء ، ولعرف كل امرىء أنه سينال استحقاق جهده .. درس آخر يقدمه أهل القلوب للمجتمع المملوء بالأوضاع الزائفة ، التى تورث اليأس والاحباط ، وتصيب جهاز المجتمع بالملل والاضطراب .

على أن هذه النظرية فى المشيخة مدروسة بعناية فائقة ، ففيها حقوق وواجبات للطرفين : الشيخ والمريد ، بحيث تؤلف نموذجا للعقد الاجتماعى الذى يمكن انسحابه على المجتمع بأسره .

فمثلا ينبغى أن يراعى الشيخ — وهو يلقن تعاليمه — أن المتلقين ليسوا على درجات متساوية فى الفهم والتذوق والحماس والطاقة ..

http://esamanas8.blogspot.com/

بل فيهم الخامل والعادى والمتوسط والممتاز .. وتلك مسألة يعرفها أهل التربية بالفروق الفردية ...

وتكون التربية بالتدريج لا بالطفرة .. والا أفلت الزمام من يد الشيخ . (واذا رجع المريد الى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته ، فان المريدين عيال على الشيوخ ، فرض عليهم أن ينفقوا عليهم من قوة أحوالهم بما يكون جبرانا لتقصيرهم .

ولا يصح للشيوخ التجاوز عن زلات المريدين لأن ذلك تضييعا لحقوق الله) .

وفى داخل هذه البيئة قد يحدث نوع من العدوى الاجتماعية .. وهنا يدق الشيخ ناقوس الخطر ، فيحذر المريد أن يكون هو نفسه ، لا مقلدا لغيره ، فيختار الفقر ان اختار غيره الغنى ، ويختار الذل ان اختار غيره العز ، وأن يصمت ان أكثر غيره فى اشتهاء الكلام .. والفقر والذل والصمت فى داخل الرباط أولى بالعبد الذى يريد التركيز فى الوحدة حتى يأتى منه شىء .

وفى لطائف الاشارات يضم الامام القشيرى هذه الفئات الدخيلة المريبة على الجو الصوفى الى المنافقين والمرتدين والنهازين الذين دخلوا الاسلام فى بدايته خوفا أو طمعا ، وكان اسلامهم مهددا بالتداعى عند أية بادرة من بوادر الهزيمة أو اشتداد الحرب أو تفكك صفوف المؤمنين .

***

وهكذا يقبل العبد على الطريق راضيا بكل متطلباته وشرائطه ، وعندئذ يأخذ عليه الشيخ العهد بالقبول ، ويتعهد له بالا يدخر وسعا

فى عطائه .. وتكون أوليات التدريب العملى تعويده الذكر باللسان ، وخير ما ينطق اللسان فى بداية الطريق الاسم المجرد « الله الله » .

تلك هى اشارة البدء .. وما أعظمها من اشارة !

ولو كانت المسألة هى هذا الترديد اللسانى وحسب لكان الأمر هينا لينا .. ولكننا هنا بازاء عبد يتدرب على التأمل فى ملكوت السموات والأرض ، كأنما يتابع نبض قلوب منبثة فى أرجاء الكون تسبح باسم ربها ، وتقر بخالقيته وبوحدانيته وبانعامه ، وشيئا فشيئا تصبح تأملات العبد أشبه بأصابع تتحسس فى كل جنبات الفضاء والبحار والأرض والجبال والهضاب والأنهار والنباتات والدواب بحثا عن سر نظامها وعظمة فاطرها ، وشمولية رحمته ونعمته .. وهكذا وهكذا .. الى ما لا يتناهى من التأمل المديد ، والاستغراق غير المحدود .

***

ويوصيه الشيخ بأن يستمر فى التدرب على ذلك ، والانغماس فيه ، والا يأخذه من هذا الذكر طارىء من طوارىء الدنيا مهما كانت شدته ومهما كان الحاحه . لأن أية اثارة لهذه الخلوة الذاكرة هى دوبانه فيها بكليته ، فلا تشويش ولا تشتيت بل تركيز حاد فيما هو مقبل عليه من البداية .

ويختم الشيخ هذه الفقرة بوصية هامة تكفى وحدها لاجتذاب أنصار للتصوف من بين أعداء التصوف ، وهى الحاحه على اتباع الشريعة ، فمن الضرورى جدا « اتباع الطاعات وبخاصة أداء الفرائض والسنن وركعتى الضحى ، وبعد كل وضوء ركعتين » ماذا ننتظر أكثر من ذلك ؟

http://esmanas8.blogspot.com/

ها هى الشريعة باب للحقيقة ، ولا يمكن دخـول البيت من غير المرور ببابه ، فما جاء التصوف ليهدم ذرة فى بنيان الحقيقه .

خرست اذن السـنة أولئك الذين يصـفهم ابن حزم بقـوله « قالـوا ان من بلـغ الغـاية القصـوى من الولاية سـقطت عنـه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وحلت له المحرمات كلها من الزنا والخمر وغير ذلك » الملل والنحل ج ٤ ص ٢٢٦

وخرست اذن السنة أعداء التصـوف الذين يتهمون الصـوفية بتفضيل اذكارهم وأحوالهم على التدين العام .

هل هناك كلام أشد صراحة من هذا الذى ينص عليه الشيخ فى مقدمة هذا الكتاب ، وهو لا يغفل عن ذلك لحظة واحدة فى كتاب واحد من كتبه ، فحينما يعالج قضية الحب يقسمه الى نوعين حب عام اساسه الطاعة والاستمساك بأصول العقيدة وأحكام الشريعه ، وأن هذا الحب العام ينمو ليصبح حبا خاصا خالصا هو الحب الالهى ، وبهذا يصبح التصوف ازدهارا للتدين فى وجدان العبد ، بل يصبح التصوف هـو التدين فى أعمق حالاته وأكثرها حيوية ونضارة .

وهو حين يعالج التوحيد عند الصـوفية نراه توحيدا شـهوديا ينبنى على اسقاط الارادة الانسانية والتعويل على ارادة « واحدة هى ارادة الواحد ، وينتج عن ذلك أن التوحيد الصـوفى هو التوحيد الدينى بطريق توحيد الارادة ، وتوحيد الارادة لا يكون الا باخـلاق فاضلة سامية .. فكأن توحيد الحقيقة بكلمات أخرى توحيد سـلوك لا توحيد قاله وحسب .

وسنعود الى مثل هذه النقاط فى بقية أجزاء الكتاب ونكتفى هنا بقوله « من ماتت نفسه فى ظلمة غفلته حتى لا احساس له بالأمور الدينية خبثت نفسه ، ومحظور قربه ، وحرام معاشرته ، وغير مباركة صحبته » لطائف الاشـارات و (حكى أن أبا الحسين النورى بقى سـبعة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا ينام وهو يقول : الله الله الله ، فأخبر الجنيد بذلك فقـال : أنظروا أمحفوظـة عليه أوقـاته أم لا ؟ فقيل له : انه يصلى الفرائض فى مواعيدها فقال : الحمد لله الذى لم يجعل للشيطان عليـه سبيلا » التحبير فى التذكير تحقيق بسيونى .

(٢)(الذكر وامتداده)

يمكن القول ان ذكر العبد لربه اذا سار على الدروب التى رتبها شيخنا أحدث فى أعماق هذا العبد ثورة تغيير كامل ، ولا نبالغ اذا قلنا أن هذا العبد يصير بعد تلك الرحلة مخلوقا جديدا هو ثمرة هذا الميلاد الروحى النبيل .

ولنرجىء شرح المصـطلحات الواردة فى الفقرة .. لأن المهم فى نظرنا الآن هو ترتيب المراحل وتسميتها حسب تدرجها :

(١) ذكر اللسان .

(٢) ذكر القلب .

(٣) غيبة عن الذكر ثم حضور ثم غيبه ثم حضور .. وهكذا .

(٤) تثبت حال الفناء عن الذكر — وهذه هى حال البقاء .

(٥) التردد بين الفناء والبقاء ، والبقاء والفناء .

http://esamanas8.blogspot.com/

(٦) ورود الهيبة على السر ينتج عنه على الفور سكون تام من جانب العبد •

(٧) أذكار تأتى من كل جوانب الكون لتشمل العبد فيما بينها ويصبح كأنه وتر فى القيثار الذاكر ذكرا شموليا ، حتى ليعجز العبد عن التمييز بين ذكره وبين ما يشمله •

(٨) ها قد ورد النهر الى البحر ، ولم يعد للنهر حركه الا من لدن البحر •• ان تحرك البحر تحرك وان سكن سكن •

فالسلطان للبارى وحده عز شأنه ، ان شاء جعل له نورا يمشى فيه ويرى به •

الرؤية رؤية بصيرة كاشفة •

الأنوار تتشال •• فيرى مالا عين رأت ولا أذن سمعت انه الكشف والمشاهدة •

والآن الى المصطلح لنشرحه فى تبسيط شديد :

١ ــ الذكر : ذكر اللسان ــ وهو أضعف ألوان الذكر مقام من المقامات ، بمعنى أنه جهد انسانى كسبى ، يمارسه العبد لتحريك العواطف الصادقة المخلصة الكامنة فى أعماق المرء :

ذكرتك ــ لا أنى نسيتك لحظة وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى

هذا الذكر باستدامته ينتج عنه التيقظ ، والتيقظ عند السهروردى أول مراحل الطريق •

وباستدامة ذكر اللسان يصل العبد الى ذكر القلب ، ويظل العبد على ذلك ذاكرا أو تاليا أو مراقبا بحيث لا يشغله عن هذا الا واجب شرعى ، ويرتقى ذكر القلب الى ذكر السر ــ وسنتحدث عنه بعد قليل •

٢ ــ الغيبة والحضور : الغيبة قد تكون بوارد من تذكر ثواب أو تفكر فى عقاب • أما الحضور فهو غيبه عن الخلق وحضور بالحق حتى يستولى ذكر الحق على قلبه ، ويكون حاضرا بين يدى ربه ، وعلى حسب غيبته عن الخلق يكون حضوره بالحق • فاذا قيل فلان حاضر فمعناه أنه غير غافل عن ربه ولاساه ، وأنه مستديم فى ذكره •

ولكن لماذا الترديد بين هذه وهذه •• السبب يتصل بالأحوال عامة ، فالأحوال من الجود الالهى ، وهى تمنح بحسب الفضل الالهى أولا ثم بمقدار ما عليه العبد من نقاء عن الأغيار حتى لو كان تفكيرا فى ثواب أو عقاب ، أو عن ملاحظة نفسه وما أدركته من المنن ، ومساكنة تلك الخواطر بحيث يتحول من خاشع يرجو المزيد الى مدع يستحق التأييد •• ثم ان الشيطان ــ كما سنرى فيما بعد ــ قد يتمثل لخاطره ، فتتأخر الأحوال الشريفة فى انعامها انتظارا لنتيجه الصراع بين هذا العبد وبين اللعين •• وهذا هو السبب فى أن الأحوال ازدواجية ثنائية : القبض والبسط ، الفناء والبقاء ، الهيبه والأنس ، الصحو والمحو ••• الى آخر ما نعرف فى باب الأحوال •• بعكس المقامات كالذكر والتيقظ والتوبة والورع والزهد والتوكل والصبر ••• فانها فرادى لأنها مردودة الى مراعاة العبد وجهوده وان كان كبار الشيوخ يرجعون ــ حتى المقامات ــ للرب سبحانه ، لأن الانسان وعمل الانسان لا يوصلان وحدهما الى شىء ذى قيمة •

http://esamanas8.blogspot.com/

وكلما آغرق العبد فى الأحـــوال وارتفع شانه كلما كانت البشرية متحنسة ، والألوهية متعالية ، فالسلطان للبارى وحده عز شانه ، والقلب الانسانى بين آصبعيه يقلبه هنا وهناك •

٣ ــ الفناء والبقاء : نستبعد تماما الأقوال الخاطئة التى تنسب زورا للمتصوفة من آمثال الادعاء بقولهم : فناء وجود العبد فى الوجود الالهى ، آو فناء العبد فى الله • ونحو ذلك مما يشعر بتداخل بين البشرية والألوهية • انما الفناء فناء ارادة الانسان وبقاؤه بارادة ربه •

آو الفناء فناء الأوصاف الذميمة وبقاؤه بالأوصاف الحميدة آو فناء الجهل ببقاء العلم ، وفناء المعصـــية ببقاء الطاعة وفناء الغفلة ببقـــاء الذكر •• وقس على ذلك فكآن الفناء والبقاء مرتبطان بمفهوم شعورى أخلاقى ، وليس فيهما مساس بالألوهية معاذ الله •

وهنا ينصرف الفنـــاء الى استيلاء ســـلطان الحقيقه على العبد ، بحيث لا يشهد من الأغيار عينا آو آثرا آو رســـما آو ظلا ، فلا علم له بشىء من حوله ، ولا احساس ولا خبر •

٤ ــ الهيبة والأنس : هذه حال شريفه تآتى بعد خطاب عرفانى يكون له عند العبد جواب مثل : آنا الرب آنا الله •

وآنا عبدك خاضع خاشع متذلل بين يديك •

هكذا المناجاة بين المحب والمحبوب ، فاذا انثالت الأنوار وتجلى الحق بالهيبة سكن العبد سكونا تاما ، وامتلا السر بهيبة المولى سبحانه ولم يعد هناك شىء من العبد لنفسه فى نفسه • فالهيبة والأنس يآتيان بعد مراحل من القبض والبسط ، فكآن الترتيب على النحو التالى :

الخوف والرجاء ثم القبض والبسط ، ثم الهيبة والأنس • وليس بعد ذلك الا حال التمكين ، لأن أهل التمكين تسمو آحوالهم عن التغير ، وهذه هى الحال التى انتهى اليها القشيرى فى نهاية الكتاب •

وهنا تحتد البصـــيرة الكاشفة ، ويحدث الكشف والمشاهدة كما قلنا فى التلخيص السابق •

***

ولا ننهى هذه الفقرة قبل آن نثبت ملحوظة دقيقة على منهج العلم الصوفى • فالفلاسفة يلتمسون حقائق الميتافيزيقا بعقولهم ، ويقيسون الغائب على المشاهد ، ويرتبون على ذلك آدلة وبراهين لاثبات الصانع بدليل صنعته ، والخالق بدليل خلقه وهكذا حسب ما يسمى بالضرورات العقلية •

آما هنا فيستدل بالله على ما خلق وليس العكس ، لأنه حاضر فى (الحضور) ومشهود فى (المشاهدة) ، فيستدلون به عليه ، لأنه القريب الحبيب •• فالضرورة هنا ضرورة شعوريه ذوقية •

وفى هذا المعنى يتساءل ابن عطاء الله السكندرى :

متى غبت حتى تكون الأكوان شاهدة عليك ؟

http://esmanas8.blogspot.com/

الفصل الأول

(٣) (محاذير وعقوبات فى مرحلة ذكر اللسان)

ذكر اللسان هو بداية لمراحل تاليه فى الذكر ، ومن هنا كانت له مشاكل خاصة ينبغى أن يتفهمها العبد حتى يتم اعداده اعدادا سليما ، لأن الأسباب الصحيحة هى التى تؤدى الى النتائج الصحيحة ، والأسباب الخاطئة تؤدى الى نتائج خاطئة أى لا تؤدى الى شىء •

وقارىء القشيرى عن هذه المرحلة وطبيعتها يدرك أن هذا العبد يربى تربية الهية قوامها التشدد فى التيقظ ، والبعد عن السوى ، والتركيز فى الوحدة أى فى المذكور ، وأن كل تشويش يدخل على العبد سواء من نفسه يشتت الهمة المكرسة لهذا التركيز • وهذا هو سبب الجاح الشيخ فى هذا الفصل وفى الفصول التالية على الحث بالا يلتفت الذاكر الآن وفيما بعد وحتى أقصى مراحل الذكر الى اى شىء يأخذه عما هو فيه وعما يوصل اليه •

وهنا لابد لنا من لفتة هامة نوضح بها فرقا حديدا بين المنهج العقلى الخالص فى المعرفة وبين منهج العرفان الصوفى ، فالذى لاشك فيه أن العقل فى غالب الأحيان حينما يتناول شيئا بالتفكير من أجل اصدار الحكم انما يفكر فى ذات الوقت فى نقيض هذا الشىء ، بمعنى أننى حينما أتعقل الصدق فانى لا أغترب كثيرا عن التفكير فى الكذب ، فالصدق مهما قيل فيه هو عكس الكذب ، والمعرفة بالصدق تتجلى أكثر وأكثر حينما نتحدث عن الكذب ونفكر فى تعريف الكذب •• وقل مثل ذلك فى البياض والسواد ، والأمانة والخيانة ، والشجاعه والجبن •• ونحو ذلك أما فى منهج العرفان الصوفى فليس ثمة نقيض للوحدة والنقاء

والطهر ومن هنا تنصرف الهمة — ويجب أن تنصرف — الى التركيز فى كل المعانى النبيلة السامية المتصلة بالألوهيه •• ولا غير ولا سوى •

ولسوف يتأيد هذا الملحظ الذى ذكرناه الآن فى فصل تال حينما يعرض الشيخ لمحاولات الشيطان اقحام نفسه فى خواطر العبد ، وكيف ينبغى طرده فورا ، وكيف يمكن تمييزه عن الأحوال الشريفة وطرحه جانبا ••

بهذا الفهم المدرك لطبيعة البداية بذكر اللسان يمكن أن تؤدى التأملات المصاحبة لهذا الذكر الى ذكر القلب •

ونحن كافة المسلمين مأمورون بهدا التأمل فى ملكوت السموات والأرض لندرك أن وراء الخلائق كلها فاطرا لها بديعا فى خلقه ، متوحدا فى شأنه ، متفردا فى تنظيمه وتحريكه • وأن هذه الخلائق جميعا تشترك فى اثبات هذه العظمة غير المتناهية ، وأنها توحد توحيد دلالة — اذا كان الانسان باللسان يوحد توحيد قائله •

فاذا جاء العبد الذاكر وأغرق خواطره فى هذه التأملات — المطلوبة من الكافة — فانه باستمرار تأملاته ، وبطرده لكل معوقات التأمل فانه يلج شيئا فشيئا الى عوالم جديدة أو متجددة ، ينساب فيها الضياء لينير كل شىء •• ليس هذا فقط بل انه يبدأ — كما يقول الشيخ — فى الاستماع الى أذكار وافدة تأتيه من هذه العوالم •• ناطقة كلها بوحدانية الله وعظمته وقدرته •

وبمقدار ما يؤخذ العبد عن نفسه ، ويستغرق فيما يرى ويسمع بمقدار ما يزاد له (المزيد بعد المزيد) حتى ينتهى به الأمر الى ذكر السر •

ولكى نوضح للقارىء معنى السر •• نقول انه هو القلب ولكن بدرجة أعلى صعودا ، وأنقى صفاء ، بمعنى أنه اذا كان القلب مشوبا

http://esamanas8.blogspot.com/

ببعض كدورات التعلق ، فان الرياضة والمجاهدة والمراعاة تعمل على اخلاء القلب من كل كدر ، فاذا ما تنقى تماما اصبح هو السر .

فالسر ملكة أعلى وأرقى من القلب ، وبالتالى فان وظيفتها على درجة أعلى وأرقى . السر أشبه بالعدسة البصيرية التى تتخصص فى مشاهدة الأنوار الوافدة من عوالم بعيدة ، وسماع الأذكار المتجاوبة مع هذا العبد الفانى فى ذكره وتأملاته .

ومرة أخرى يحذر الشيخ هذا التحذير المتكرر : لا تلتفت الى شىء فان التفت (فقد أساءت الأدب واستحققت العقوبة) ويتم هذا الردع على مرحلتين :

(أ) قطع المزيد ، أى وقف المنن فان استغاث العبد وأناب وعاد الى التركيز المرير فى تأملاته فى خشوع وتذلل ، تلطف الحق سبحانه به وأعاده كرة أخرى الى ما كان عليه .

(ب) أما ان صبر على ذلك القطع .. فمعناه ان قلبه مستعد للجفاء وهنا يحدث تشديد فى العقوبة ، ويتم ذلك بأخذه الى الخلف ، والرجوع به الى الوراء على مرحلتين تبعدان عن منطقة الأسرار والقلوب وتدنوان من عالم العقل والفكر .

(أ) برده الى حال العلم : فيظن أنه قد أوتى علوم الأوائل والأواخر ، وهو فى هذا التوهم مدع ، والتربية الالهيه تكره له هذا الادعاء ، لأنها تريد له أن يعول على الفضل الالهى وعلى المنن الربانيه ، وأن يتخلى عن فكرة أنه يجىء وحده منه شىء . فيجب كسر حدة هذه النفس النزاعة الى الغلواء والزهو .

فاذا أفاق من ذلك ، وندم واستغفر أعيد الى حاله شريفه راقية مثلما كان بها .

أما اذا استمرأ الادعاء فانه :

(ب) يرد الى حال الفهم ، والفهم هو أن ينتابه احساس العالم بأن له علما ، وفى هذا اصرار أشد على الادعاء .. وعقوبته أن يرد الى حال الغفلة ! تأمل كيف يتغلغل الصوفية فى أعماق هذا المنجم الكبير الذى اسمه النفس الانسانية ، وكيف يشخصون آفاتها فى الأغوار السحيقة ، ثم كيف يتابعون تشخيص الدواء لكل داء .

تأمل كيف يحققون بنظريتهم فى المعرفة أن الله سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

تأمل كيف يمكن أن نستفيد من علوم الصوفية فى وضع أساس جديد لفهم كتاب الله الكريم وسنة نبيه عليه السلام .

تأمل كيف يمكن أن نستفيد من علوم الصوفية فى ارساء قواعد لعلم جديد سيفرض نفسه على أرباب العلوم هو : علم النفس الاسلامى .

والآن الى بعض مصطلحات الفصل :

وأهم ما يعنينا هنا :

١ ــ **الواردات** : مفردها الوارد وهو لفظة ترد كثيرا فى كلام الصوفية والوارد هو ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة بشرط ألا يكون فيها تعمد أو اكتساب من العبد ، وقد يكون وارد سرور أو حزن ، وارد قبض أو بسط الى غير ذلك من المعانى المرتبطة بمنن الله وأفضاله .

ويميز القشيرى بين ما يفد على العبد من خواطر محمودة تكون من قبل الحق سبحانه أو من ملك ، وبين ما يخرج اليه من نفسه فيكون هاجسا ، وبين ما يكون من الشيطان فيكون وسواسا .

http://esamanas8.blogspot.com/

وسنرى بعد حين كيف يمكن للعبد تمييز ذلك كله بمقتضى مقاييس دقيقة حتى لو تلبس الشيطان ثوبا غير ثوبه اللعين .

ويدقق أبو نصر السراج فى المسألة أكثر من ذلك فيوضح أن بداية الوفود على العبد تكون من البوادى ، فالبادى هو الذى يأتى أولا ثم يتلوه الوارد ، فليس للبادى فعل ولكن للوارد فعل ، اذ هو الذى يستغرق العبد(١) .

٢ ــ **الغفلة** : هى النسيان ، وعلامتها رؤية النفس فى حال العمل ، وهى عندهم ذنب كبير يستغفرون منه ، والحاحهم على طرد هذه الغفلة يدعوهم كما تقول رابعة : « ان استغفارنا فى حاجه الى استغفار » وتعليل ذلك أنه ربما دب فى النفس دبيب خفى أن عملهم قد أوصلهم الى شىء ، ويفترض أن يكون الشعور تاما بأن الفضل الالهى هو المسئول الأول والأخير عن منالهم لحال شريفه .

وعلاج الغفلة الاستغفار والندم ، والعودة الى الذكر ، حتى يتم التفرغ التام من كل دعوى وادعاء ، واسقاط كل غير .

٣ ــ **الهمة** : هى ما يملك الانبعاث الى المقصود صرفا ، ويدقق أبو عبد الله الأنصارى الهروى فى الأمر فيقسمها ثلاث درجات :

الأولى : همة تصون القلب عن همه الرغبة فى الفانى وتحمله على الرغبة فى الباقى .

الثانية : تورث ثقة وأملا فيما هو عن المفقود .

الثالثة : تزرى بالأعواض وتنحو نحو الحق لذاته لا لشىء آخر فى الدنيا والآخرة(٢) .

(١) اللمع ص ٤١٨ .

(٢) منازل السائرين ص ٢٢ .

الفصل الثانى

(٤) (القلبُ الذاكرُ)

ما زلنا فى شئون ذكر اللسان ..

ويعاود الشيخ النصح للمبتدىء بأن يحرص الحرص كله على الاستغراق فى هذا الذكر ، منبها أياه الا يلتفت الى شىء يحول بينه وبين التأملات ، كما يلفت نظره الى أن بعض الانبهارات الأولى قد تخلب لبه وتأسر انتباهه ، وتشده اليها فتبعده عن ذكره ، وآيه هذا الابتعاد انه يشعر بأنه يربو ويعظم ، وانه قد تفوق على أقرانه ، وأنه قد وصل ... !!

وعقوبة هذا تأتى فى الوقت وهو أن يكون الوارد القادم اليه وعليه فى صورة « قهر من خوف يدهشه » ، وهذه العصا الغليظة ــ ان صح التعبير ــ توقفه عند حدود الأدب ، وتعيد اليه صفات التواضع والتذلل والخشية وانكماش الذاتية فيه . وتذكره هذه العقوبة بأنه فى طريق الحق سبحانه ، ولا داعى للتشامخ والتظاهر .. فالطينة اذا ادعت ما ليس لها كان ذلك وبالا عليها .. انما الأمر كله لصاحب الأمر .

فاذا ما تظلمت كل دعاوى النفس ، وذهبت كل امارات كبريائها ، (اصطلم) العبد عن كل شواهده ثم أعيدت له حال أقوى مما كان عليه ، وذلك بعد أن صقلته هذه التربية الالهية ، واستجلب كل جزء فيه لها ، ورغب فيها ، وحرص عليها . ونستطيع أن نتصور مدى عنفة هذه التجربة ــ أثناء ذكر اللسان ــ والعبد مردد بين مرتبة أعلى ومرتبة

http://esamanas8.blogspot.com/

ادنى فى درج الأحوال ، وأن هذا الترديد يتماشى مع كل نفس وكل ساعة حتى يأتى عليه قهر عظيم ، وعنده ينتقل ذكر اللسان الى القلب • وعلامة حدوث ذلك الانتقال أن يتوقف ذكر اللسان ، وان يبدأ العبد فى سماع الذكر صاعدا من قلبه ، وأن هذا الذكر الصاعد يزداد ارتفاعا شيئا فشيئا ، فيهز كيانه ويتمنى — خوفا مما أصابه سابقا — الا يسمعه أحد ، والا يكون هناك غير ، وأن يحيطه الاكتمان بأسوار هائله وفى بقعة نائية بحيث لا يطلع على أذكاره الصاعدة من قلبه انس ولا جن ، وبحيث يبقى وحده متفردا بما وصل اليه حتى يضمن الحفاظ عليه ، وعدم النكوص عنه •

والآن الى فهم بعض المصطلحات التى وردت فى الفقرة •

المصطلم : هو المأخوذ عن الشواهد التى تسبب له التلوين فى أحواله كى يصبح ممكنا ومعدا لاستقبال مزيد من المنن دون أن يصيبه تغير •

الهجوم : اما بقبض أو بسط وفى البداية يكون بخوف (كما فى الفقرة) أو برجاء ، وهى أمور ترد بغتة ، فتهز صاحبها وسبيلها اسكون ومراعاة الأدب ، فان لهذا الوقت خطرا عظيما ، فقال بعضهم : فتح على باب البسط فزللت زلة » فحجبت عن مقامى « وقال آخر . قف على البساط واياك والانبساط »(١) •

ويفرق الشيخ بين البواده والهجوم ، فالبواده ما يفجأ قلبك من الغيب على سبيل الهولة اما موجب فرح او موجب ترح ، والهجوم ما يرد على القلب بقوة الوقت من غير تصنع منك • ومنهم من تغيره البواده وتصرفه الهواجم ، ومنهم من يكون فوق ما يفجؤه حالا وقوة أولئك سادت الوقت كما قيل :

(١) الرسالة . ص ٣٦ .

لا تهتدى نوب الزمان اليهم
ولهم على الخطب الجليل لجام •

ومن شواهدهم على حصول ذكر القلب قول رويم أحد سادات الصوفية :

شغلت قلبى بما لديك فما
ينفك طول الحياه عن فكرى

آنستنى منك بالوداد وقد
أوحشتنى من جميع ذا البشر

ذكرك لى مؤنس يعارضنى
يوعدنى عنك منك بالنظر

وحيث ما كنت يامدى همى
فأنت منى بموضع النظر

***

ونتعلم من هذه التربية الالهية للذاكرين أشياء نافعه لنا فى حياتنا :

١ — اذا كانت شريعة الاسلام فى أصلها تعنى الانقياد لمن يقود والثقة فيه سبحانه ، فانها هنا فى مجال الحقيقة منفذة عمليا وتطبيقيا ، اذ يلزم استبعاد كل توهم بأن العبد يأتى منه شىء ، وأن الخير كله صادر من المولى سبحانه ، وان أى تدخل من جانب العبد فى تحويل الأحوال عن مسارها يترتب عليه نسف كل شىء ، واسنحقاق العقوبة فى الوقت •

٢ — ونتعلم احترام (الوقت) ، وأن كل شىء بتوقيت •

فالصوفى ابن وقته ، بمعنى ان يلزم حدود ما أخذ به اليه ، فلا يتحسر على ماض ، ولا يتعجل فى حاضر ، ولا يستبطىء ما يأتى به المستقبل •• ان كل شىء بقدر •

(١) الرسالة ص ١٩٣ .

http://esamanas8.blogspot.com/

٣ ــ آن هؤلاء الوالهين الذين يعيشون أعمارهم حسب كل نفس يتردد ، ويكون كل نفس مرتهنا بالتعبد ينبغى آن يراعوا حدود الأدب ، فيلزمهم التواضع والتذلل والخشوع والخشية ، والا تشدهم الانبهارات التى تلوح لهم الى اى دعوى أو ادعاء ، بل يجب آن يروا القصور فى أنفسهم على الدوام .. وهكذا تأتيهم الأفضال ، وتنثال عليهم المنن .

نتعلم من هذا الا نغتر بمال أو ولد أو منصب أو جاه أو صحه فى البدن ، وآن نأخذها كلها على أنها ابتلاء واختبار ، فبالرضا ننال المزيد ، وبحسبان أنفسنا أصحاب حق فى هذا وأننا ننناله بكسبنا وذكائنا فلسوف تهب ريح قاصمة تعصف بكل شىء ، وعلى الباغى تدور الدوائر .

٤ ــ ونتعلم آن فرج الله قريب ، ولهذا اذا أصابتنا مصيبة قابضة يجب آن نستقبلها بالصبر والشكر .. أما ما سببته لنا المدنية الحديثة التى نحن غارقون فيها من يأس واحباط وقنوط وأمراض عصبية تؤدى أحيانا الى آن يقتل الابن أبويه أو الأم طفلها .. ونحو ذلك من جرائم تقشعر لها الأبدان فتلك آفة هذه المدنيه التى غيبت عنا الايمان بالله ،وبتصريفه فى كونه الذى يملكه ، وان غيبة الايمان ولو للحظات كفيل بحدوث الغفلة ، وعند حدوث الغفلة تقع الجريمة ! وهذا هو معنى الذكر من وجهة نظر الاسلام فما بالك بالذكر عند أرباب القلوب الذين يعيشون أعمارهم لحظة بلحظة .

٥ ــ ونتعلم أخيرا آن خير الوان التربية هى هذا النمط السامى الراقى الذى يربى به الرب عبده المختار لطريقه ، ولو قد استفدنا من هذا النمط التربوى قبسات عجلى لانصلح حالنا فى الدنيا والآخرة .. فهل من مجيب ؟!

الفصل الثالث

(٥) (ذكر الجوارح)

لا عجب آن يجد العبد حركة فى كل جوارحه ، وآن يختلج كل جزء من لحمه وعظمه ــ كما يقول الشيخ .

ذلك لأننا أمام انسان تسرى أشواق الروح فى كل بدنه ، ويتعمد فى داخل كيانه حب كبير ، حب العبد لربه ، ولا يتسع هذا الكيان لمثل هذه العاطفة الممتدة النامية التى تخلقه من جديد .. شخصا آخر .

أرأيت الى الجبل ــ وهو بطبيعة الحال أقوى وأصلب وأكبر من بدن هذا الانسان ، ثم أرأيت الى القرآن الكريم اذ ينزل على هذا الجبل ــ والقرآن هو أسمى آيات الفكر .. ماذا تكون النتيجة « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله » صدق الله العظيم .

هذه هى القضية ، وهذا هو مصير الجبل الخشوع والتصدع من خشية الله . وقل الشىء نفسه فى ذكر الجوارح فى بدن هذا العبد الذاكر .

يسرى الخشوع والتصدع فى كل لحمه وعظمه ، وعندئذ تنبعث من الحنايا ــ كل الحنايا ــ آيات الخشوع والتصدع على شكل أصوات مسموعة ، وينطبق كل هذا الانبعاث على كل أجزاء الجسم ما عدا اللسان ــ كما يقول الشيخ .

ذلك لأننا فعلا قد انتقلنا من مرحلة ذكر اللسان الى مرحلة ذكر القلب والجوارح ، وثانيا لأننا بصدد مشكلة فريدة من نوعها .

http://esamanas8.blogspot.com/

فالأصل فى اللسان أنه أداة التعبير باللغة ، واللغة مقاييس وأوضاع وأصوات ارتضاها المجتمع كى يتخاطب بها ، ويفهم الناس بعضهم بعضا بوسيلتها .. أما هنا فنحن أمام حب كبير يملأ القلب ، والطرف الثانى فى الحب ليس المجتمع ولكنه المولى سبحانه ، فماذا تفيد اللغة الاجتماعية هنا ، ان العبد بحاجه الى لغة أخرى ذات أنماط تعبيرية لم تضعها اللغة العادية فى حسابها ، وتترجم هذه اللغة على شكل حركات واختلاجات وأصوات وتمايلات ودق للأرض وارتعاشات وزعقات .. وقل ما شئت وانتظر من هذا العبد أى شىء ، ... المهم أن يكون من داخله صادقا مخلصا فى توجهه ، وعندئذ تلتمس له العذر فيما يصدر عنه ، نعم .. انه معذور غاية العذر ، لأن ما أصابه أقوى من أن يحتمله ، ومما يشرب اليه أكبر من محتواه .. وهو بشر وللبشرية حدود فى طاقة الاحتمال ، فلا ضير عليه ان نفس عن نفسه بحركة ما أو بصوت ما .. يقول يحيى بن معاذ وهو من كبار المحبين :

دققنا الأرض بالرقص ... على غيب معانيكا
ولا عيب على رقص ... لعبد هائم فيكا

وقد منحت هذه اليقظة الذاكرين رهافة فى الحس بحيث أصبحنا نتوقع أن يكون العبد فى حالة من حالات الحضور ثم يترامى الى سمعه بيت من الشعر ربما ينشده أحد المارة عن غير قصد ، واذا بهذا البيت من الشعر يهز كيان الذاكر هزا عنيفا ، وربما قضى عليه فى التو وليست القيمة آنئذ لبيت الشعر بل لهذا القدر من الحضور الوجدانى اللاهف المشتاق .

ولم يسلم من هذه المواقف كبار الشيوخ ، الذين لم يعد الأمر قاصرا على حركات واختلاجات تنتاب أبدانهم بل ربما غشى عليه ،

أو انخرط فى البكاء وقد يصل به الأمر الى أن يصعق ويقضى نحبه كان ابراهيم بن أدهم مارا فى بعض الطرق فسمع رجلا يغنى بهذا البيت :

كل ذنب لك مغفو ... ر سوى الاعراض عنى

فغشى عليه(١) .

وسمع ذو النون من يقول :

صغير هواك عذبنى ... فكيف به اذا احتنكا
وأنت جمعت من قلبى ... هوى قد كان مشتركا
أما ترثى لمكتئب ... اذا ضحك الخلى بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه والدم يقطر من جبينه ولا يسقط على الأرض(٢) .

والحارث المحاسبى يسمع من ينشد :

أنا فى الغربة أبكى ... ما بكت عين غريب
لم أكن عند خروجى ... من بلادى بمصيب
عجبا لى ولتركى ... وطنا فيه حبيبى

فقام الحارث يتواجد ويبكى حتى رحمه كل من حضره(٣) .

(١) الكشكول . ص ٧١
(٢) الرسالة . ص ١٧٠
(٣) اللمع . ص ٣٦١

http://esamanas8.blogspot.com/

وحين سمع سمنون المحب من يقول :

فليس لى فى سـواك حـظ   فكيفمـا شـئت فامتحنى
ان كان يرجو سـواك قلبى   لا نلت سـؤلى ولا التمنى

فاصيب على الفور باحتباس البول(١) .

واخيرا يحكى السراج ان سبب وفـاة أبى الحسين النورى وهو من كبار الشيوخ أنه سمع هذا البيت وكان فى حالة هيمان :

لا زلت أنـزل مـن ودادك منـزلا
تتحـير الألبـاب عنـد نزولـه

فتواجد النورى وهام فى الصحراء حتى وقع فى أجمة قصب وقد قطعت وبقى أصولها مثل السـيوف ، فكان يمشى عليهـا وهو يردد البيت ، والدم يسيل من رجليه ، ثم وقع مثل السكران فتورمت قدماه ومات(٢) .

ولا ينسى الشيخ أن يلفت النظر الى شغله الشاغل فى هذا الكتاب وهو نهى الذاكر عن أن يلتفت أو يلاحظ شيئا مما يجرى له أو عليه ، بل عليه أن يركز كل همته فيما هو مقبل عليه ، وان ينغمس بكل الوسع فى المحتوى الشمولى الذى صير به اليه ، واقتيد له .

ان اية مسـاكنة لهذه التجليات العظيمة هى بمثابة ارتداد الى الذات ، تنجم عنها اثنينية غير مطلوبة بالمرة فى طريق الوحدة والتوحيد ، وبكلمات أخرى : غاية الذكر أن يفنى الذاكر فى المذكور ، وكل معوق لهذا فهو قاطع طريق .

---

(١) طبقات السلمى نشر الشرباصى ص ٤٥

(٢) الرسـالة . ص ١٥٢

الفصل الرابع

(٦)(الشّـرب)

الشرب ، والرى ، والكأس ، والخمر ، والسكر .. ونحو ذلك من مفردات تكون ما يمكن تسميته بالخمريات الصوفيه .

سؤال يطرح نفسه .. ألم يجد الصوفيه لغة أخرى يستعملونها فى مثل هذه المقامات الجليلة والأحوال الشريفة ؟

ألا يجدر بهم أن يزيحوا عنهم شبهات قد يلصقها بهم أعداؤهم ؟ أليس ذلك مصدرا لقذائف من لهب يصوبها اليهم أهل الشنآن ؟

ويزيد الأمر خطرا أن تصدر هذه الكلمات عن شيخ سنى جليل يريد أن يصالح بين الشريعة والحقيقة !

وللجواب على ذلك كله نحتاج الى لحظة هدوء ..

ففى رأينا أن هناك جانبين للقضية .. القضـيه الاولى لغـوية والثانية قرآنية . فمن ناحية اللغة .. اننا لو فتشـنا فى كل قواميس اللغة عن كلمة نطلقها على الصوفى فى حال الفناء لما وجدنا أفضل من كلمة السكر ، ولا أدق من لفظ الشرب . فالعبد غائب عن شـعوره دون أن يحدث مساس فى بشريته ، وهكذا يجنبنا استعمال لفظ السكر مشاكل يرفضها الدين الحنيف مثل الامتزاج ، والحلول ، والاتحاد ، وفنـاء البشرية فى الألوهية ونحو ذلك مما نجده فى تصوفات الأمم الأخرى ، وهى لو اسـتعملت هنـا لأعطت مفـاهيم تمس تنزيه الرب سبحانه وتعالى — وهذا مرفوض .

http://esamanas8.blogspot.com/

العبد قد تاه فى فنائه بعد أن انقطعت علائقه عن كل شىء حتى عن أى دبيب خفى ينبعث من كيانه الداخلى — كما أشرنا .

وهو قد استجمع همته كلها فى فكرة واحدة ظلت تكبر وتكبر حتى طغت على كل ما عداها فى حين أن « كل ما عداها مازال موجودا بذاته ، ولكن لا رسم ولا أثر له هنا فى خواطر العبد ، فالتواؤم منعدم بين العالم النفسى للفانى وبين العالم الخارجى المحسوس المحيط به . لأجل هذا نتوقع أن يسقط تمييزه للأشياء ، وأن تتغير حركاته ، وأن تنفلت عباراته ، أو أن يخيم عليه الوجوم التام ، أو أن يصاب بنوبات وارتعادات ..

لا نشك مطلقا فى أن لفظة أو اصطلاحا يصلح لنقل هذه الصورة الفريدة عن هذا الكائن البائن ، الكائن هنا هكذا فى عالمنا ، البائن المفترق عن كل عالمنا .. أصلح من لفظة كالشرب والسكر والمحو ونحوها أما القضية القرآنية فى هذا الخصوص فهى أن الصوفيه قد تشجعوا وهم يتابعون حديث الخمر والشراب فى مواضع مختلفه من القرآن الكريم ، وكيف يسقى بها أهل الجنه ، وينعمون ، ويتلذذون وكيف يطاف عليهم بآنية مملوءة بهذه الخمر التى لا غول فيها ولا تأثيم ، وأنهم لا يصدعون عنها ولا ينزفون وأن .. وأن .

لم يجد الصوفية ضيرا فى استلهام معانيهم الخمريه من هذا ، وتشجعوا — ومنهم هذا الشيخ السنى الحريص المتحفظ — على اقتباس أفكارهم فى وصف الرحلة وهى فى قمة مراحلها بهذه الأوصاف .

ولسنا فى حاجة الى أن ندفع عن توهمات القارىء أن الخمر هنا وهناك ليست من قبيل هذه الخمر الانسانيه الكثيفة التى تذهب

بالعقول ، والتى يحرمها الدين ، والتى يقع صاحبها تحت طائله الحدود التى أقرتها الشريعة .. هذه بديهيه لم نكن بحاجة الى التنبيه اليها .

يبقى اذن أنه استعمال لغوى من قبيل المجاز ، سبق به القرآن الكريم وكان ذلك مدخلا للموضوع كله فى علوم أرباب الذوق والشوق .

***

ومع ذلك .. ولأهميه الأمر نطوف بالقارىء عبر بعض مصنفات القشيرى حتى نستوضح أطراف هذا الموضوع الطريف ، الذى ربما يأخذه لفيف من أعداء التصوف وسيلة للتهجم والتخرص ، واثارة الويل والثبور ، وهدم المعبد على من فيه !

يقول عن تفسيره الاشارى لقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ... »(١) .

(الخمر ما خامر العقول ، والخمر حرام والاشارة فيه أن من شرب شراب الغفلة لوجب له البعد عن الحقيقه ، فمن سكر من خمر الدنيا فهو ممنوع من الصلاة ، ومن سكر من خمر الغفله فهو محجوب عن المواصلات (= الأحوال الموصلة) ، وكما أن من شرب الخمر وجب عليه الحد فكذلك من شرب شراب الغفلة (= عن ذكر الله) فعليه الحد حيث يضرب بسياط الخوف . وكما أن السكران لا يقام عليه الحد ما لم يفق فالغافل لا ينجح فيه الوعظ ما لم ينتبه ، وكما أن مفتاح

(١) سورة المائدة ، آية ٩٠ .

http://elmanas8.blogspot.com/

الكبائر شرب الخمر ، فان أصل كل زلة وسبب كل ذله وبعد وحجبة : الغفلة عن الله تعالى « لطائف الاشارات تحقيق بسيونى » .

وفى قوله تعالى « يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين » يحدثنا عن هذه اللذة التى تناولها كتابنا فيقول :

(شرابا يوجب الطرب ولا وحشة هناك ، شرابا يحضرهم ولا يسكرهم لأنه قال : « ولا هم عنها ينزفون » أى لا تزول عقولهم أو تختل ، شرابا لا يزيل عنهم الحشمة ، ولا يرفع عنهم الهيبة ؛ قوم يشربون بوصف الستر ، وآخرون يسقون فى الحضور وهم على نعت القرب) ويفصل ذلك فى موضع آخر :

(من شرب كأس الصفاء خلص له عن كل شرب ، فلا كدورة فى عهده ، فهو فى كل وقت صاح عن نفسه خال عن مطالباته ، قائم بلا شغل فى الدنيا والآخرة . ومن شرب كأس الولاء عدم فيه القرار ولم يعب سره لحظة لا بالليل ولا بالنهار ، ومن شربه حال اللقاء آنس على اندوام ببقائه ، فلم يطلب — مع بقائه — شيئا آخر لا من عطائه ولا من لقائه لاستهلاكه عند سطوات الكبرياء) .

و (فائدة الشراب اليوم أن يشغلهم عن كل شىء ، ويريحهم عن الاحساس ، ويأخذهم عن قضايا العقل) .

و (من سقاه اليوم شراب محبته آنسه وشجعه فلا يستوحش فى وقته من شىء ، ولا يضن بروحه فى بذلها بشىء ، ومن مقتضى شربه بكأس محبته أن يجود على كل أحد بالكونين من غير تمييز ، ومن آثار شربه : تذلله لكل أحد لأجل محبوبه ، فيكون لأصغر الخدم تراب القدم ، لا يتحرك فيه للتكبر عرق) .

ولكن هل يصدر عن الشارب شىء يؤخذ عليه ؟

(من مقتضى ذلك الشراب أن يملكه سرور ، ولا يتمالك معه من خلع العذار والقاء قناع الحياء ، واظهار ما هو عليه من المواجيد) .

ولكن (من كان صادقا فى توجهه كان محفوظا فى تكلفه) .

بمعنى أن يلزم حدود الأدب ، وأن يحترم ما هو عليه فى الوقت ، والا يخرج عنه ما يسىء اليه ، وقد سئل الجنيد فى ذلك فأجاب « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب » وهذه حال المتمكنين .. ويزيدها القشيرى توضيحا بقوله :

(علامة صفاء الشرب صفاء المعاملات ووفاء المنازلات ، ودوام المواصلات والا لما حصل بعدئذ الرى) .

ومعنى العبارة الأخيرة التزام العبادة ، وأداء الشريعة ، والوقوف عند الاحتشام .

وسنتناول قضية الافصاح والكتمان فى موضع لاحق ان شاء الله تعالى .

***

وينهى الشيخ هذا الموضوع بوصفه لهذه اللذة العاتية التى تصطلم العبد ، حتى أن المبتدئين يهربون منها الى الخلائق لعدم قدرتهم على احتمال تبعاتها ، فهى ليست لذة ممتعة للأبدان لأنها ممتعة للأرواح ، انها لذة الخشية والرهبة .. وسبحان ربى وهو يجمع النقيضين ! ومن آيات هذه اللذة كما يقول شيخنا أن « يحتد بصره وبصيرته حتى كأنه يسمع أقدام النمل » .

http://esamanas8.blogspot.com/

هذه هى الشفافية المرجوة فى هذه المرحله ، فالمرآة مجلوة تنعكس عليها صور الكائنات صغيرها وكبيرها • والسمع مرهف لأن كل شىء فى هذا العبد أصبح آذنا صاغية تتسمع تسبيح الكون ، وهل كل من فى السموات والأرض الا وغارق فى التسبيح •• « ولكن لا تفقهون تسبيحهم » •

هنا بهذه الشفافية يحدث فقه التسبيح ، فقد انجابت كل الموانع والعوارض وأصبح العبد وجها لوجه أمام كائنات ذاكرة لله ، منشدة لفردانيته وخالقيته وعظمته !

الفصل الخامس

(٧) (حال جَمْع الجَمْع)

النفس مركز المعلولات ويجب الانتهاء من المعركة بينها وبين القلب مركز الجمودات ، فاذا بقيت فى القلب من آثار تلك المعركة بعض الكدورات فان المجاهدات والرياضات واستدامة الذكر •• كل ذلك كفيل — بمشيئة الله وفضله — بأن ينقى القلب فيصعد فى المعراج التدرجى الى منطقة الروح ، وهى مكمن الحب ، وعندها يكون ذكر الجوارح كما أسلفنا •

وهنا يصل بنا الترتيب التصاعدى الى منطقه السر ، والسر وديعة ربانية لدى العبد ، وبه وفيه تتم أشرف الأحوال وأسماها ، وهى حالة جمع الجمع •• وقبل أن نوضح دلالتها نشرح أولا معنى الجمع ، وخلاصة القول فيها أنها تقابل الفرق ، فما كان من العبد فهو فرق ، وما كان من المنن الالهية فهو جمع •

يكون من العبد تواصل العبودية والذكر وكل ما يطلب من أحوال البشرية من تذلل وخشوع وابتعاد عن الملاحظه والمساكنه ، والدعوى والادعاء ونحوها وهذا هو الفرق •

ويكون من الجناب الالهى ابداء المعانى واسداء اللطف والاحسان •• وهذا هو الجمع • ولابد للعبد من كليهما « فمن لا تفرقة له لا عبودية له فقوله : اياك نعبد اشارة الى الفرق وقوله : واياك نستعين اشارة الى الجمع » الرسالة ص ٣٨

http://esamanas8.blogspot.com/

وهناك فرق بين من يرى الأعمال من نفسه وبين من ينسبها الى المولى سبحانه ، ويدرك الذاكرون فى هذه المرحلة معنى قول شيوخهم : فرق بين من يقول بجهدى أعبدك وبين من يقول بفضلك ولطفك أتقرب اليك .

أما حال (جمع الجمع) فهى فوق هذا : « فمن أثبت نفسه وأثبت الخلق ولكن شاهد الكل قائما بالحق فهذا جمع أما اذا كان مختطفا عن شهود الخلق مصطلما عن نفسه مأخوذا بالكلية عن الاحساس بكل غير بما ظهر واستولى من سلطان الحقيقة فذاك جمع الجمع . والتفرقة شهود الأغيار لله عز وجل . فجمع الجمع حالة عزيزة تؤدى الى الاستهلاك بالكلية وفناء الاحساس بما سوى الله عز وجل عند غلبات الحقيقة . وعند هذه الحالة يحدث نوع من الفرق الثانى فيه يرد العبد الى وعيه لأداء الصلاة والفرائض ثم يعاد الى ما كان عليه » الرسالة ص ٣٩ (أنظر آخر هذا الكتاب) .

***

وتكون المناجاة بين العبد وربه .

وفى البداية يكون هعاء واستغفار .. فيأتى خطاب باللطف والاحسان . ولهذا الخطاب جواب .. وهكذا ، حتى يأتى وقت تستولى فيه غلبة الجمع على العبد فلا يستطيع تمييزا بين ما هو واند اليه وبين ما هو صادر منه ، فاذا انطلق تعبير لسانى — عفوا من العبد فربما أوقع المسامع — الذى لا يتفهم ولا يتفوق مثل هذه المواقف — فى حيرة واندهاش ! ويكون السكون القائم عند تجلى الهيبة .

والله سبحانه يحفظ عباده الصادقين من التعرض لمثل هذه المواقف حتى لا يفتتن باصفيائه ، وحتى لا يحدث من الحرج ما يعرضهم للأذى .. اذ يقل فى الناس من يفقهون تسبيح الوالهين . وكان خيرا للمتربصين أن يقرنوا بين هذا التسبيح الصادر عن عبد له ارادة وبين بقية الكائنات التى تسبح بحمد الله آناء الليل وأطراف النهار ولكن دون أن ندرى أو ندرك أسرار ولغات هذه الكائنات .

وليس من فرق بين الحالين الا أن العبد موحد توحيد حالة ، والكائنات موحدة توحيد دلالة .

http://elmanas8.blogspot.com/

الفصل السادس

(٨) (حينما يقتحم الشيطان حصن أرباب الأحوال)

نعرف من تجربتنا أن الشيطان قد يتسرب الى خواطرنا اذ نحن نؤدى الصلاة ،وقد ينجح فى تشتيت افكارنا اثناء هـذه الصلاة مهما ألححنا على طرحه وطرده ، وكما تحتاج الصلاة الى تركيز شديد حتى ندرك معانى ومقاصد ما نقوله أمام الرب سبحانه فى ركوعنا وسجودنا حتى يكون لنا فى النهاية ما وصـفه الرسول الأعظم صلوات الله عليه وسلامه بقوله : « ليس لك من صلاتك الا ما عقلت منها » كذلك يحتاج الذكر — حتى فى أقصى درجات الفناء فيه — الى تركيز تام ، وقد نبه القشيرى قبل ذلك الى آفات النفس التى قد تعوق ذلك ، وكرر هـذا التنبيه مرارا ، ولكنه هنا يخصص فصلا مستقلا لزعيم قطاع الطريق • الشيطان !

وأرى أن هذا الفصـل مكتوب بطريقه ممتعة تنبنى على تحليل نفسى دقيق بحيث يصلح أن يقدم لشبابنا فى المدارس والمعاهد نموذجا للنثر الأدبى الفنى الاسلامى •• فضـلا عما له من قيمه فى تربيتهم الروحية • وقبل أن نعايش نص الكتاب علينا أن نضع بين يدى القارئ مقدمة نراها مفيدة له :

أولا : كيف نفرق بين هاجس يأتى من النفس وبين وسـواس يأتى من الشيطان ؟

يجيب الجنيد — سيد الطائفه — على ذلك بقوله • « ان النفس **اذا طالبتك بشىء ألحت ، فلا تزال تعاودك ولو بعد حين حتى تصل الى**

مرادها ويحصل مقصـودها • اللهم الا أن يدوم صـدق المجاهدة • ثم انها تعاودك وتعاودك • وأما الشيطان فاذا دعاك الى زلة فخالفته بترك ذلك فانه يوسوس لك بزلة أخرى لأن جميع المخالفات له سواء ، وانما يريد أن يكون داعيا أبدا الى زلة ما ، ولا غرض له فى تخصيص واحد دون واحد » الرسالة ص ٤٧

ثانيا : ما حقيقة دور الشيطان فى نهاية الأمر ؟

ينظر القشيرى الى القضية باعتباره متكلما أشعريا ، ويذهب فى ذلك الى أن الله سبحانه خـالق كل شىء ، وكل شىء فى نظره يشـمل الانسان وأكساب الانسان ، فاذا أراد زينا للعبد كان بها ، واذا أراد غير ذلك كان بها أيضا •• اذا لمـاذا خلق الله الشيطان ؟ وكيف يحمل الانسان وزر ما يصنع الشيطان به اذا كان كل شىء مرجعه الى الله ؟

يجيب الشيخ عن ذلك بقوله فى لطـائفه : « فقد خلقه — أى الشيطان — ولكن جرده من النفوذ ، فقال سبحانه « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان » • فهو عاجز عن مضرتنا ، لأن الحق هو الذى يوصل الينا مضرتنا ولو كان الشيطان قادرا على اغواء الخلق !كان يمسك على الهداية نفسـه ، ومن عجز أن يحافظ على نفسـه كان فى اغواء غيره أشد عجزا » •

ويواصل الشيخ رأيه فى موضع آخر من لطائفه فيقول :

ان كل عمل الشيطان هو الوسوسة فى صدور الناس ، ولكن ليس فى حوزته ولا فى سلطانه أن يكرههم على شىء • قال تعـالى « ربنا ما أطغيتـه » أى مـا أكرهتـه على كفره ، ولكن فعـل باختيـاره ما وسوست له •

http://esamanas8.blogspot.com/

وهكذا نجد القشيرى المتكلم يعود الى اختيار العبد ، ويحصر نطاق عمل الشيطان ، ويرد كل شيء فى النهاية الى الله فما أصابك من حسنة فمن الله) فضلا ، (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) كسبا وكلاهما من الله سبحانه خلقا . (القشيرى المتكلم : بسيونى) .

***

نلخص ما جاء فى الكتاب فى هذا الموضوع على النحو التالى :

١ ــ يتلبس وسواس الشيطان بخواطر الحق حتى ينصرف العبد عما هو فيه ، ويظل لفترة فى حيرة وارتباك . المقياس هنا هو عرض الأمر على الشريعة ، والأمر والنهى .

٢ ــ الشيطان لا يأتى على حقيقته بل يلجأ الى التزيين الزائف والمقياس هنا .. القلب الذاكر يلفظ ويرفض كل ما يوجهه حتى لو كان التزيين براقا خلابا .. كالأمر بالحج أو طاعة الوالدين .

٣ ــ يأتى الشيطان ضمن الأصوات الجميلة المسموعة ، وتكون لصوته حلاوة قد تفوق حلاوة الأصوات الشريفة ولكن القلب لا يستأنس بها بل يستوحش وينفر .

٤ ــ عندما يكون القلب خاليا أو غير ممتلىء تماما بخواطر الحق فقد ينجح الشيطان فى الظفر ، وتكون له الغلبة . أما اذا كان عامرا بخواطر الحق .. فان المقياس هنا للرفض هو عدم المشاكلة بل الضدية ، وعدم الأنس بل الوحشة ، وعدم الانسجام بل السماجة والنشوز .

٥ ــ واذن يبقى أن العلاج الوحيد لمشكلات العبد فى هذه المواقف هو الاستعاذة واستدامة الذكر ، حتى يكون لديه رصيد كاف

يقف سدا منيعا أمام هذا العدو اللعين المتلصص الذى يتسور جدران حصن صاحب الأحوال الطيبين له ، بغيته .. وليصيح منه ــ على الأقل ــ وقفة مرتبكة تصده عن التقدم ولو لخطوات أو للحظات .. ولكن هيهات .. فلا يحيق المكر السيء الا بأهله ، وهكذا يرتد اللعين الى جحره خائبا حسيرا . فان صاحب الأحوال قد أبلى فى التيقظ والتأمل والفناء فى المذكور بلاء حسنا ، ولن ينال منه الشيطان حتى لو استجمع كل نعومة الأفاعى وطراوتها !

وسيبقى العبد عائشا منعما فى مهرجان الذكر الذى تتجاوب فيه ــ مع أناشيد قلبه ــ جوارحه والكون من حوله .. وهذا هو الفرار الى الله سبحانه ، الكفيل بالنجاة من كل طاغوت !

http://esamanas8.blogspot.com/

الفصل السابع

(٩) السكون وإسقاط التدبير

● أصيبت ساق أبى الخير الأقطع المتوفى سنه نيف وأربعين وثلثمائة بالغرغرينا وأوصى الأطباء بقطعها ، فأشار تلامذته أن تجرى له الجراحة وهو فى غلبات الذكر .. وهكذا تمت دون أن تخرج منه آهة واحدة .

● ويقول سيد الطائفة الجنيد سماعا عن السرى السقطى : أن العبد يبلغ فى الذكر الى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر « الرساله ص ٣٦ » .

● وفى مجلس سماع قام الناس وقعدوا ، وأما الجنيد فبقى هادئا ساكنا فلما سئل فى ذلك قال : وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب » .

وهكذا نرى أن غلبة الذكر على أهل التمكين تقتضى السكون ، والسكون كما قلنا من قبل هو جواب السر على خطاب الهيبة . فان تمكن العبد هكذا انثالت عليه الفيوضات ، وغمرته الأنوار : فهذه كلها ثمار التوحيد ، بمعنى أن العبد الذى أسقط تدبيره وبقى بتقدير مولاه قد استسلم أخيرا .. ولم يعد هناك الا ارادة الواحد لتتصرف فى الموحد . وتلك غاية سامية لا يصل اليها المرء الا بعد جهاد ونضال ربما استغرقا كل سنوات عمره ولهذا ينصح الشيخ من دخل فى طريق الارادة بأن يلازم السكون والا يتحرك فيه جزء منه ويكون أشبه بالجثة الهامدة الملقاة فى البرية ، تهجم عليها الطيور الوحشية بمقدار ما ترى فيها من فقدان الحركة والنفس !

●●●

وينهى الشيخ هذه الفقرة بأن الأحوال — خلافا للمقامات — تأتى من عين الجود ، فليست جهودا كسبية كما أسلفنا ، ويطلها تطبلا طريفا بأنها لو كانت من اجتلابه واكتسابه لما صبر عليها ، ولكنها من قوة عليا خارجة عنه ، تفرضها عليه شاء أم أبى .

ذلك هو الاستسلام ، وهذه هى أصول هذه التربية الالهية ، ولأنها كذلك ولأنها تؤدى فى النهاية الى ذلك فان العبد يصعب عليه كثيرا أن يغادر خلوته ، أو يبتعد عما هو مغمور فيه ، وان مجرد حصول ذلك لعلامة لخير كثير أنه قد أصبح مرادا بعد أن كان مريدا ، وأن الاجتباء الالهى له فى الابتداء قد بات يعطى حصاده فى الانتهاء . فعليه — أراد أو لم يرد — ألا ينصرف عما صير به اليه .

http://esamanas8.blogspot.com/

(١٠)(مُطاردة النوم والغفلة)

هؤلاء قوم وصفهم القرآن الكريم بقوله « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا » .

هؤلاء قوم أحبوا وأرادوا الملازمة لهذا الحب ، ولما أوردهم الحب موارد اللطف والرحمة والعناية ، وأطلعهم على أنوار العرفان وجدوا النوم أكبر عقبة تصدهم عن هذه الملازمة ، فهم بشر قبل كل شيء ، والنوم لأبدانهم سبات وراحة ، ولكن الحب الجارف الذى ملأ قلوبهم لقوى من بشريتهم ، فقد ولدوا ميلادا جديدا .. انها حقا مشكلة . وهذا الذى ذكره الشيخ من جلوسه على حجر ناتىء معلق فى الهواء بين فضاء شاهق وواد سحيق هو محاولة لتبديد جيوش النوم اذا ما أطبقت عليه من كل جانب .

وقل الشيء نفسه فى محاولات أمثاله من الشيوخ ، وقد يتبادر اليك احساس بالرثاء الشديد لسمنون المحب الذى كان يجلس على شاطىء دجلة وبيده قضيب يضرب به فخذه — اذا غافلته سنة من النوم حتى بان عظمه وتبدد لحمه وهو يقول :

كان لى قلب أعيش به   ضاع منى فى تقلبه
رب فاردده على فقد   ضاق صدرى فى تطلبه
وأغث مادام بى رمق   ياغياث المستغيث به(١)

ولكن .. لا عليك من هذا الرثاء لهذا المحب ، فانه يعيش فى أقصى درجات السعادة مع محبوبه ، و لايريد أن تمر لحظة دون أن يعب من كاس محبته .

(١) طبقات السلمى ص ١٩٠ وطبقات الشعرانى ج ١ ص ٩٩

ثم استمع الى ما يقصه أبو مقاتل المكى حين دخل على الشبلى فوجده ينتف الشعر من حاجبه بمنقاش فسأله : يا سيدى أنت تفعل هذا بنفسك ويعود ألمه فى قلبى . فأجابه : ويلك .. أنا أدخل الألم على نفسى حتى أحس بما يستتر عنى .

وينشد أحد الوالهين فى حب مولاهم :

هجرت الورى فى حب من جاد بالنعم
وعفت الكرى شوقا فلم أنم(١)

وينشد ذو النون واصفا المعركة مع النوم فى منتهى الدقه :

أعميت عينى عن الدنيا ورؤيتها
فأنت والروح شيء غير مفترق
اذا ذكرتك وافى مقلتى أرق
من أول الليل حتى مطلع الفلق
وما تطابقت الأجفان عن سنة
الا رأيتك بين الجفن والحدق(٢)

ويروى أبو الحديد :

أهابك أن أقول هلكت وجدا
عليك ، وقد هلكت وجدا
ولو أن الرقاد دنا لطرف
جلدت جفونها بالدمع جلدا

(١) صفة الصفوة ج ١ ص ٢٢٣
(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣١٣

http://esamanas8.blogspot.com/

وهكذا يتصل الليل بالنهار والنهار بالليل ، وتتم دائرة الزمان حول هذا الذاكر ، فلا يستطيع التمييز بينهما لغلبة الأنوار الرائعة عليه :

يقول السرى السقطى :

لا فى النهار ولا فى الليل لى فرج
فما أبالى أطال الليل أم قصرا

لأنى طول ليلى هائم دنف
وبالنهار أقاسى الهم والفكرا

وينشد سمنون فى ذلك :

أحن بأطراف النهار صبابه
وفى الليل يدعونى الهوى فأجيب

وأيامنا تفنى وشوقى زائد
كأن زمان الشوق ليس يغيب

الفصل الثامن

(١١) (تنبيه للمبتدئين)

● لم ينس الشيخ وهو يقترب من قمة النهاية فى ترتيب السلوك أن ينفع أهل الابتداء من المريدين نصيحة غالية ، فهو يعلم بحكم تجربته أن بعضهم قد ترك الطريق حينما اجتهد ثم لم يجد على الفور ثمرة اجتهاده دانية القطوف ، فأراد أن يعرفهم بأن طبيعة هذا الطريق ابتلاء وامتحان من البداية الى النهاية :

ومن تحلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان

فعليهم أن يصبروا ويثابروا .. فتلك سنة أجراها المولى سبحانه على أرباب القلوب ، وهم بهذا أرباب استدامة لذكر الله ، وأرباب ثقة فى أن الأرض الموات سرعان ما ينهمر عليه المطر فتنبت من كل زوج بهيج .

استمع اليه وهو يهمس فى آذان المريدين منبها فيقول لهم من واقع تجربته « وهكذا كنت فى الابتداء .. كنت كلما ازددت جهدا ازداد الشيء المقصود عنى بعدا » .

ثم استمعوا الى هذا المربى العظيم وهو يدفع الاحباط واليأس عن المبتدئين فيفتح عيونهم وبصائرهم على الآفاق الرحبة التى تنتظرهم فيقول على الفور فى السطور التالية متحدثا عن النهاية :

http://esamanas8.blogspot.com/

« حتى وصلت فى النهاية الى موضع كنت أرى فيه بنفاذ البصيرة جميع المخلوقات ، وذلك عندما تظهر أنوار الحق على السر » والمعنى أرى جميع المخلوقات قائمة بتوحيد الله سبحانه توحيد دلالة — كما سبق أن ذكرنا .

● ونميل الى الاستفادة فى هذه الفصول الأخيرة من الكتاب الى صياغة جديدة فى الشروح والتعليقات ، وذلك بأن نكثر من نماذج الشعر الصوفى التى جاءت على ألسنة الشيوخ ، وهو شعر جميل ليس فيه تعقيدات ، وشعر صادق ليس فيه زيف .. وقد تعمدنا أن نأتى به الى هنا حتى نثبت للقارىء صلة التصوف بالفن ، وكيف استطاع الشعر بلغته العاطفية النابضة أن ينقل الينا هذه التجربة .. لعل شبابنا يشغفون بالمزيد من قراءة هذا الشعر الجميل الجليل .. ولهذا سنترك القارىء يصاحب هؤلاء الصوفية الشعراء دون تدخل من جانبنا الا عند الضرورة :

انهم عطاش الى المزيد من منه ، ولكنه سبحانه يعطشهم الى وصاله : يقول ذو النون : « الله يعطش صفيه ، والعبد متلهف على الرى ، وفى ذلك ينشد سمنون بن حمزة :

أنت الحبيب الذى لاشك فى خلدى
منه ، فان فقدتك النفس لم تعش
يا معطشى بوصال أنت واهبه
هل فيك راحه أن صحت يا عطشى(١)

(١) طبقات السلمى ص ١٨٨

ويقول النورى فى حالى التجلى والستر :

اذا تغيبت بدا وان بدا غيبنى(١)

ولهذا يتركون له مشيئة التصرف ، فكل ما يأتى به الله فهو خير وصلاح :

فان شئت واصلنى وان شئت لا تصل
فلست أرى قلبى لغيرك يصلح(٢)

ويقول ذو النون فى المعنى نفسه :

فسنا كيف شئت ولا تكلنا
الى تبريرنا ياذا المعالى(٣)

وتقبل الأنوار بقدر ، وتتجمع سحب الغيث مبشرة ولكنها لا تجود ، فيشتد العطش ، ولكن لا يزحف اليأس ، يقول الشبلى :

أظلت علينا منك يوما غمامة
أضاءت لنابرقا وأبطا رشاشها
فلا غيمها يجلو فيأيس طامع
ولا عيشها يأتى فيروى عطاشها

(١) اللمع ص ٤١٦
(٢) تاريخ بغداد المجلد التاسع ص ٢٣٧
(٣) اللمع ص ٣١٨

http://esamanas8.blogspot.com/

(ذكر هذان البيتان فى اللمع ص ٣٢٢ وهما منسوبان فى الأغانى ج ٣ لبشار وفى النجوم الزاهرة ج ٥ لمهيار) .

والنتيجة أنهم يعانون على الدوام ، وحتى عند اللقاء والبسط يتفكرون فى الفراق والقبض :

يقول جعفر الخلدى : « تفكرى فى مرارة البين يمنعنى من التمتع بحلاوة الوصل ، وتكره عينى أن تقر بقربك مخافة أن تسخن ببعدك ، فلى عند الاجتماع كبد ترجف ، وعند التنائى مقلة تكف وأقول كما قال الشاعر :

وما فى الدهر أشقى من محب
وان وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكيا فى كل حين
مخافة فرقة أو لاشتياق

فيبكى ان نأوا شوقا اليهم
ويبكى ان دنوا خوف الفراق

فتسخن عينه عند التنائى
وتسخن عينه عند التلاقى(١)

وهذا الحب الكبير قادر على جمع المتضادين فى القلب الواحد ، وفى ذلك يقول أبو العباس بن عطاء :

(١) اللمع ص ٣٠٩

جمعت شيئين فى قلبى له خطر
نوعين ضدين : تبريد وتلهيب

نار تقلقنى والشوق يضرمها
فكيف يجتمعان ؟ روح وتعذيب

وهذا المزج بين الضدين يسبب العناء ، ويتطلب المكابدة ودوام الذكر حتى يكون الشراب صافيا لا خلط فيه ، يقول الجنيد :

مالى جفيت وكنت لا أجفى
ودلائل الهجران لا تخفى(١)

وأراك تسقينى وتمزجنى
ولقد عهدتك شاربى صرفا

ان العبد يعود باللائمة على نفسه ، ويعد نفسه المسئول عن هذا المزج والتضاد ، فحاشاه أن ينسب التنغيص الى غير ذاته ، لأن المحبوب أقرب اليه وأعرف به ، وهنا يعود الذاكر الى ذكره ، فيصل ليله بنهاره حتى ينجح فى هذا الامتحان العسير ، يقول سمنون :

ضاعف على بجهدك البلوى
وأبلغ بجهدك غاية الشكوى

(١) اللمع ص ٣٠٩

http://esamanas8.blogspot.com/

واجهـد وبالـغ فى مهاجـرتى
واجهـر بهـا فى السر والنجـوى

فاذا بلغت الجهـد فى فلـم
تتـرك لنفسـك غايـة قصـوى

فانظر •• فهـل حـال بى انتقلت
عمـا تحب بحـالة أخـرى

ويقول :

أنـا راض بطـول صـدك عنـى
ليـس الا لأن ذاك هـواكا

فامتحن بالجفـاء صبرى على الود
ودعنـى معلقـا برجـاكا

***

تلك هى تجربة هذا الحب الكبير ، قـد يبذل العمر كله فى سبيلها ووقفا عليها ، ولكن ثمارها العظيمة تستحق مـا هو اطول من العمر •

أليست فى جوهرها انتصار للانسان ؟!

وهذه هى شمس الشموس طالعة أبدا فى برج العلاء ، فهل هناك أروع من مشاهدتها والانغمار فى أنوارها ؟

الفصل التاسع

(١٢) (نهايات الأحوال)

هنا نصل الى منطقة الصفاء التام ••

ينبغى أن تختفى الشواغل حتى لو كانت مجرد أمنية بالحصول على ملعقة من السمن فى ليلة العيد •

الصفاء التام فى خواطر اليقظة والنوم ، لنمى الرؤيا — هى الأخرى — مرجوة فى التنعم بالأحوال والكشوفات •

الصفاء التام فى رابطة التواصل التى بين الأستاذ والشيخ ، وبحيث يرى الشيخ خواطر تلميذه ، وبحيث يطلب منه فى لحظة بعينها أن يجلس على حجر ويردد الذكر ، وتتفتح كوى الضياء ،وتتثال على التلميذ الأنوار •

الصفاء التام بحيث تتم الأذكار فتؤتى ثمارها فى الوقت ، أى تبدأ من ذكر اللسان فذكر القلب فذكر الجوارح فذكر الكون فذكر السر •• كل ذلك فى لحظات ، مع أننا قد رأينا من قبل أنها أمور ربما لا تتحقق الا فى سنوات ، ولكن — التواصل الحميم بين الشيخ وتلميذه أوقفه — بارادة الله — على أن اللحظة مناسبة ، فجاء الأمر بالابتداء وكانت النهاية على المرام •• وتلك كرامة من كرامات الشيخ •• نعم كانت النهاية هى الخلوص التام لذكر الله آناء الليل وأطراف النهار ، ولم

http://esamanas8.blogspot.com/

يتوقف هذا الذكر الا فى مرحله الفرق الثانى حين جاء موعد الصلاة ، فأعيد العبد الى كل الوعى بنفسه حتى يتم ما فرض الله عليه ، ثم أعيد به الى ما كان عليه من جمع الجمع • وعند الصلاة فكر الشيخ فى حمل تلميذه — وهو على قدر من الوعى بنفسه — الى القريه •

أما التلميذ فقد صار بدوره شيخا ، لقد وصل به السكون التام انتظارا لمزيد من الأحوال ، ولكن لم يرد جديد عليه ، لأنه قد وصل فاتصل ، وتلك نهاية الترتيب : وهى حال التمكين •• لم يعد جديد فى الأمر اللهم الا ازدياد تحول البدن يوما بعد يوم •

لأجل هذا نرانا — اتماما للفائدة آن نتحدث عن بعض النقاط الهامة المتصله بهذا الموضوع :

(أ) تعريف بالشيخ ابى الحسن

آشرنا عند ترجمة القشيرى فى صدر هذا الكتاب الى علاقته الوثيقة بشيخه وملهمه ومثله الأعلى صهره أبى الحسن على الدقاق ، وكيف كانت صلته به نقطة التحول الأساسى فى حياته ، ثم كيف كان له من الشفافية بحيث يحدثه عن خواطره الدفينه • ولا يكاد اسم الدقاق يغيب عنك فى كل مصنفات القشيرى ، مقرونا بالقاب : الأستاذ ، والشيخ ، والشهيد •• ولهذا وجب علينا آن نعطى القارىء هنا فكرة مقتضبة عن سيرة هذا الشيخ العظيم لأنه الشخصية المحورية فى الفصل الأخير الذى نحن بصدده من كتابنا هذا •

يقول عنه عبد الرؤف المناوى صاحب (الكواكب الدرية فى تراجم الصوفية) ، هو أبو على الحسن الدقاق النيسابورى الشافعى ، كان

لسان وقته ، وامام عصره ، فارها فى العلم ، محمود السيرة ، مجهود السريرة ، جنيدى الطريقه ، سرى الحقيقه • آخذ مذهب الشافعى عن القفال والحصرى وغيرهما ، وبرع فى الأصول ، وفى الفقه ، وفى العربية ، حتى شدت الرحال فى ذلك •

ثم آخذ فى العمل ، وسلك طريق التصوف ، وآخذ عن النصراباذى • قال ابن شهبة : وزاد عليه حالا ومقاما • وعنه آخذ القشيرى صاحب الرسالة ، وله كرامات ظاهرة ، ومكاشفات باهرة • قيل له لم زهدت فى الدنيا ، قال : لما زهدت فى آكثرها انفت الرغبة فى آقلها • ومن آقواله أيضا : من علامة الشوق تمنى الموت على بساط العوافى فيوسف لما آلقى به فى الجب ولما أدخل السجن لم يقل توفنى • ولما تم له الملك والنعمة قال : توفنى • وكان كثيرا ما ينشد :

آحسنت ظنك بالأيام اذ حسنت
ولم تخف شر ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها
وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وقال : صاحب الحزن يقطع من الطريق فى شهر مالا يقطعه غيره فى عام ويروى عنه القشيرى فى رسالته آن شاه الكرمانى — وهو من كبار الشيوخ — تعود السهر ، فغلبه النوم مرة فرآى الحق سبحانه فى النوم ، فكان يتكلف النوم بعد ذلك فقيل له فى ذلك فقال :

رآيت سرور قلبى فى منامى
فأحببت التنعس والمناما(١)

(١) الرساله ص ١٩٣ •

http://esamanas8.blogspot.com/

(ب) الرؤيا

تفسير أهمية الرؤى عند الصالحين فى نظرنا يرجع الى أن صفاء الوعى عندهم يصحبه صفاء فى اللاوعى ، وكلاهما امتداد للآخر .. ومادام الوعى مشحونا بذكر الله وخشيته ، مقرونا بالمشاهدات والكشوفات أو بالتطلع والتشوق اليها فان ذلك يتسرب الى اللاشعور ، ويشغله ، ونحن نعلم مدى نشاط اللاشعور عند النوم . والخلاصة أن الحياة الروحية تكتمل عند الأصفياء باللاشعور والشعور معا . ولا عجب بعد ذلك أن يتحقق المنام تحققا كليا أو جزئيا ، وتصبح الرؤيا كرامة من الكرامات .

والقشيرى يؤمن بالرؤيا ايمانا مستمدا من هذه الرؤى التى ذكرها القرآن الكريم ، والتى وردت عن الرسول ﷺ وعن جيل الصحابة والتابعين ، وعن كبار المشايخ فى هذا الطريق — والذين عقد لهم فصلا بلغ نحو عشر ورقات فى رسالته ، والى جوار ذلك يؤمن بها من تجربته الشخصية مع أستاذه الدقاق تارة ومع نفسه تارة أخرى . ويحدثنا السبكى عنه فيقول (كان قد مرض للقشيرى ولد فشق عليه ، فرأى الحق سبحانه وتعالى فى المنام فشكا اليه . فقال له : اجمع آيات الشفاء ، واقرأها عليه ، واكتبها فى اناء واجعل فيه مشروبا واسقه اياه ، ففعل ذلك وعوفى الولد) .

واذا كان القشيرى يرى فى باب « رؤيا النوم » بالرساله أن رؤية الحق — سبحانه — فى المنام تدل على أن الرائى من أهل الصلاح فان

ابن العماد الحنبلى يروى عنه هذه الرواية : (قال أبو القاسم القشيرى رأيت ربى — عز وجل فى المنام وهو يخاطبنى وأخاطبه فكان فى أثناء ذلك أن قال الرب — تعالى اسمه — أقبل الرجل الصالح ، فالتفت فاذا أحمد الثعالبى مقبلا شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٣١ .

ونلمح اهتمام القشيرى بالرؤى فى لطائفه عند تفسير الايات الكريمة التى وردت فيها الرؤيا . من ذلك قوله (كان سبب بلاء يوسف رؤيا رآها فنشرها مع أن أباه أوصاه أن يكتمها عن اخوته : يابنى لا تقصص رؤياك على اخوتك » وكان سبب نجاته رؤيا الملك أظهرها : قال الملك انى أرى سبع بقرات) .

وفى موضع آخر يقول عند قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام) : كان السبب فى نزولها أن النبى ﷺ . رأى فى منامه أنهم يدخلون المسجد الحرام آمنين ، وبشر به أصحابه فلما صدهم المشركون خامر قلوبهم شئ ، وعاد الى قلوبهم بعض تهمة ، فسكنت قلوبهم فأنزل الله هذه الايه) لطائف الاشارات ص ٣٢٢ .

والخلاصة أن الشيخ مهتم بالرؤيا ، وأن هذا الاهتمام سمة من سمات تجربته الذاتية تمتد من تجربته الروحية عبر بحوثه ، وتدعوه الى الاهتمام بها والتعويل عليها .

(ج) حال التمكين

هذه هى حال العارفين بالله ، الأولياء ، الموحدين ولكى نتفهمها بدقة نقارن بين أنوار المعرفة بالعقل ثم بالقلب ثم بانروح ثم بالسر

http://esamanas8.blogspot.com/

ـ وعند القشيرى زاد عن الباحثين بسر السر أو حق اليقين ـ وبين أنوار الشمعه ثم المصباح ثم البدر ثم الشمس .

فكل نور من واحد منها يطغى على نور ما سبقه . والشمس هذا لا تغيب أبدا ، والعبد المتمكن معمور بنورها دوما ، وهذا الدوام لا يمنع من أن يمشى العبد فى الأرض باحثا فى مناكبها عن رزقه المرتبط مباشرة بالرزاق المنعم الوهاب .. ولا احد سواه ، ولا يمنع من أن يستريح وينام ، فنومه ـ كما قلنا ـ امتداد ليقظته ، وعند الخلوة يكون اللقاء وتكون القيامة ـ على حد تعبير القشيرى فى مصنفاته ، وأهم شىء فى حال التمكين هو سكون السر سكونا تاما وبمقدار هذا السكون لا يحدث التلوين ، ولا يعود العبد للتقليب بين الواردات ـ كما اتضح ، بل تهدأ حاله عند نقطة معينة ثابتة هى أشبه بما نعرف من ثبات درجة الغليان للماء أو للسوائل الأخرى ، فالماء النقى لا تزيد درجته عن مائه مهما امتد وضعه على النار ، وتتغير هذه الدرجه بمقدار الشوائب فيه .

بهذا التقريب للفهم نستطيع أن نتفهم قول القشيرى فى آخر كتابه هذا : « وسكن عندى كل ذلك ، والى سنه كاملة لم تعد لى حالتى من قوة الحس ، كما أنه لم يرد على البتة شىء يزيد فى حالى أو ينقص منه » .

ويقارن القشيرى بين حالى التلوين والتمكين فيقول فى رسالته : التلوين صفة أرباب الأحوال (اى الذين ما زالوا على الطريق) أما التمكين فهو صفة أهل الحقائق ، صاحب التلوين يرتقى من حال الى حال ، وينتقل من وصف الى وصف ، ويخرج من مرحل ويحصل فى مربع فاذا وصل .. تمكن ، وأنشدوا :

ما زلت أنزل فى ودادك منزلا
تتحير الألباب عند نزوله

صاحب التلوين أبدا فى الزيادة ، وصاحب التمكين وصل ثم اتصل ، وآمارة انه اتصل أنه بالكلية عن كليته بطل ، ذلك أن أهل الحقائق يرتقون عن وصف التأثر بالطوارق ، الرسالة ص ٤٤ ، ٤٥ .

أما عن نحول البدن ، وما يطرأ عليه من هزال فيحدثنا العطار عن السرى السقطى ـ وهو من كبار الشيوخ ـ بأنه « قد يبس جلده على عظمه من حب الله » التذكرة جـ ١ ص ٢٧٧ .

ويتحدث السقطى نفسه عن ذلك فيقول :

ولما ادعيت الحب قالت كذبتنى
فمالى أرى الأعضاء منك كواسيا
فما الحب حتى يلصق الجلد بالحشا
وتذبل حتى لا تجيب المناديا
وتنحل حتى لا يبقى لك الهوى
سوى مقلة تبكى بها أو تناجيا
(اللمع ص ٣٢١)

تلك شجون الحب ولواعجه ، وكيف نستكثر ذلك على حب مخلوق لخالقه بينما المجنون يقول فى ليلاه .

ولم يبق الا الجلد والعظم عاريا
ولا عظمة لى آن دام ما بى ولا جلد
غزتنى جنود الحب من كل جانب
اذا حاق عن جند قفول أتى جندا

http://esamanas8.blogspot.com/

ولهــذا نجد هؤلاء الصفوة المحبين رغم عذابهم فى هــذا الحب لا يستطيعون عنه فكاكا ، بل يرونه سر وجودهم ، ومبعث سعادتهم .. يقول الحلاج :

مكــانك من قلبــى هــو القلب كلــه
فليــس لخلــق فى مكــانك موضـــع
وحطتك روحــى بين جلدى وأعظــمى
فكيــف ترانــى ان فقــدتك أصـــنع

ويقول أبو حمزة الخرسانى مناجيا ربه :

وتحيى محبــا ـ أنت فى الحــب حتفه
وذا عجــب كون الحيــاة مــع الحتــف

ويصر سلطان العاشقين ابن الفارض على هذا فيقول :

قلبــــى يحــــدثنى بأنــك متلفــــى
روحــى فــداك عرفــت أم لم تعــرف

أى سواء تفضلت فانعمت على ، واحتسبته أم لم تتفضل .

انه الحب الكبير الذى يوقد البدن ولكنه يغذى الروح بهذا الزاد العاطفى النبيل وهو خير لهم من كل أطايب الدنيا وزينتها .

أهــم المراجــع والمصــادر

- مصنفات القشيرى ـ **المطبوعة والمخطوطة**
- حلية الأولياء ـ **لأبى نعيم الاصفهانى**
- تذكرة الأولياء ـ **لفريد الدين العطار**
- الكواكب الدريه فى تراجم الصوفيه ـ **لعبد الرءوف المناوى**
- اللمــــــع ـ **لأبى نصر السراج** .
- التعرف لمذهب أهل التصوف ـ **للكلاباذى**
- عوارف المعارف ـ **للسهروردى**
- طبقات الصوفيه ـ **لأبى عبد الرحمن السلمى**
- الطبقات الكبرى ـ **للشعرانى**
- دائرة المعارف الاسلامية ـ **مادة تصوف**
- تذكرة الحفاظ ـ **للحافظ شمس الدين الذهبى**
- كشف المحجوب ـ **للهجويرى**
- قوت القلوب ـ **لأبى طالب المكى** .
- تاريخ بغداد ـ **للخطيب البغدادى**
- شذرات الذهب ـ **لابن العماد الحنبلى**
- صفة الصفوة ـ **لابن الجوزى**
- طبقات الشافعية ـ **لتاج الدين السبكى**
- منازل السائرين ـ **لأبى عبد الله الانصارى الهروى**

وغير ذلك مما ذكر فى هوامش الشروح .

http://esamanas8.blogspot.com/

الفهـــرس

البـــاب الأول

	الصفحة
تعريف بالكتاب وصـــاحبه	٥
١ ــ القيمة العلمية للكتاب	٧
٢ ــ صـــاحب الكتاب	١٦
٣ ــ نســـــخنا الكتاب	٢١

البـــابان

الثـــانى ص ٣٣ و الثالث ٥١

م	تحقيق النص وتقويمه	الصفحة	شروح وتعليقات	الصفحة
	بداية الطريق		**بداية الطريق**	
١	التأدب بشيخ	٢٥	التأدب بشيخ	٥٣
٢	الذكر وامتداده	٣٧	الذكر وامتداده	٥٩
			الذكر ــ الغيبة والحضور ــ الفنـــاء والبقـــاء ــ الهيبة والأنس	
	الفصل الأول		**الفصل الأول**	
٣	محاذير وعقوبات	٣٠	محاذير وعقوبات	٦٤
			الواردات ــ الغفلة ــ الهمة	
	الفصل الثانى		**الفصل الثانى**	
٤	القلب الذاكر	٣٢	القلب الذاكر	٦٩
			المصـــاطم ــ الهجـــوم ــ البواده	
	الفصل الثالث		**الفصل الثالث**	
٥	ذكر الجوارح	٣٤	ذكر الجوارح	٧٣
	الفصل الرابع		**الفصل الرابع**	
٦	الشرب	٣٥	الشرب	٧٧
	الفصل الخامس		**الفصل الخامس**	
٧	حال جمع الجمع	٣٧	حال جمع الجمع	٨٣
	الفصل السادس		**الفصل السادس**	
٨	حينما يقتحم الشيطان حصن أرباب الأحوال	٣٨	حينما يقتحم الشيطان حصن أرباب الأحوال	٨٦
	الفصل السابع		**الفصل السابع**	
٩	الســـكون واســـقاط التدبير	٤٢	الســـكون واســـقاط التدبير	٩٠
١٠	مطاردة النوم والغفلة	٤٤	مطاردة النوم والغفلة	٩٢
	الفصل الثامن		**الفصل الثامن**	
١١	تنبيه المبتدئين	٤٦	تنبيه المبتدئين	٩٥
	الفصل التاسع		**الفصل التاسع**	
١٢	نهايات الأحوال	٤٧	نهايات الأحوال	١٠١
			(أ) تعريف بالشـــيخ أبى الحسن	١٠٢
			(ب) الرؤيا	١٠٤
			(جـ) حال التمكين	١٠٥

أهم المصادر والمراجع ١٠٩

http://esamanas8.blogspot.com/